

التتار والمغول

تأليف د / محمود السيد
أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية المعلمين المدينة المنورة سابقاً





مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفة
تليفاكس ٤٨٧٩٤٧٣ اسكندرية



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

التتار والمغول

تأليف
الأستاذ الدكتور / محمود السيد
أستاذ التاريخ الإسلامى
كلية المعلمين المدينة المنورة سابقاً

٢٠٠١ م

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
تليفاكس ٤٨٧٩٤٧٢ إسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فأما الزَبَدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض كذلك يضربُ اللّه الأمثالَ ﴾

صدق الله العظيم

(الرعد : ١٣-١٧)


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

المقدمـــة

يعود شعب التتار بجنوره إلى الشعوب التركية التى عاشت، فى الهضبة الأسيوية الشاسعة التى تمتد من أطراف الصين إلي أواسط آسيا وتشمل جغرافيتها عددا من خطوط الطول والعرض.

ولذا صارت تختلف فيها البيئة وأنواع المناخ والتضاريس وتغلب عليها الصفة السهوبية ذات المراعى المتنوعة، فإحترف التتار الرعى والإنتقال في سرعة هائلة على ظهور الخيل، وحتى تبدو حركاتهم وراء الرزق كأنهم فى حرب ولم ترغب هذه القبائل التتارية فى الإستقرار حيث تغلب عليها حياة البداوة بخلاف البعض الآخر الذى إتجه إلى الإستقرار وحياة المدن والأخذ بمظاهر الحضارة المستقرة.

أما الفريق الذى فضل حياة البداوة فقد أخذ يضرب فى الأرض بين أطراف الصين ومنشوريا إلي بحيرة بيكال الغربية من تركستان الإسلامية .

علي أن التتار لم يكونوا على وفاق مع القبائل المغولية جيرانهم. وقامت الحرب بين التتار والمغول وتغلب المغول على التتار. وإضطر الكثيرين من التتار إلى الإتجاه شمال وغرب المنطقة الأسيوية وسكنوا مناطق متفرقة فيها وأطلق عليها إسم مقترناً بأماكن سكنهم الجديدة.

فشعب التتار يعود بجذوره إلي الشعوب التركية التى تجمع فى أسرتها الكبيرة من الأتراك والأذربيجان والكازاخ والقرغيز والبلكار والقراتشاى وتتار القرم وتتار نهر الفولجا والتتار من الشعوب الناطقة بالتركية ولكن لهم لغتهم التتارية.

وهم كانوا يعيشون أصلاً فى شرقى فنغوليا وقد إكتسب التتار هذا الإسم الذى يغلب عليه إشتقاقه من اللغة الصينية فقد أطلق الصينيون إسم تتار على القبيلة التى عاشت فى منطقة منجوريا وشمال شرق منغوليا فى القرن الخامس الميلادى.

وقد أزعج التتار هؤلاء جيرانهم من الصينيين فوصفوهم بالبرابرة الهجميين ثم إنتشرت هذه الصفة على التتار وعرفهم العالم.

وهذه الأقاليم التتارية التى فتحها المسلمون فى العصر الأموى فى عهد الخليفة الوليد وعلى يد قتيبه بن مسلم. وهذا الأقليم التتارى يقع شمال شرق الهند بلاد ما وراء نهر جيحون (إقليم تركستان) ذلك الأقليم الذى إنتقلت إليه قبائل عربية كثيرة إنتشرت وإستقرت وتزاوج العنصر العربى بالعنصر التركى والتتارى وإنتشر تبعاً لذلك الدين الإسلامى فى هذه الأقاليم. وإنما بلغ المسلمون بعض هذه الأقاليم تجاراً.

أما القبائل المغولية.

فقد بدأ تاريخها بعد أن جمعها ولم شملها أحد زعمائها المعروف بإسم جنكيزخان تعلم فى صباه إجادة الصيد والإشتراك فى حلبات السباق والمصارعة وقذف السهام، كما تعود شظف الحياة، وتحمل آلام الجوع والحرمان بضعة أيام.

غير أنه تفوق أقرانه برجاحة العقل والمهارة فى رسم الخطط وتدبير الأمور والإنفراد دونهم بفكرة خطيرة خلاصتها أن الحياة للقوى وحده لا للضعيف وزادته تجارب الحياة وأحداثها إيماناً بنظريته، إذ توفى والده وهو شيخ القبيلة

ورمز عزتها نتيجة سهم دسه له أحد أعدائه فلم يلبث أفراد القبيلة أن إنفضوا عن تيموجين (جنكيزخان فيما بعد) الذى كان في كنف أمة ورعايتها، وإنتخبوا زعيماً أخر عليهم حيث قال أحدهم فى الإجتماع «لا حاجة للقوم إلى إمرأة ضعيفة وأطفال مساكين».

وكان هذا القول هو الشرارة الأولى التى إشتعلت جذوة النشاط عند تيموجين، الهاتف الذى ردده فى كفاحه فى سبيل سيطرته على جيرانه فأخذ تيموجين يعمل على جميع الأنصار حوله، على حين شجعته أمه أثناء ذلك بإشعال نار الحقد والكراهية على أعدائه الذين سلبوا سلطانه وصارت نفس تيموجين بذلك تطفو بالكراهية والبغضاء على كل من حولها ولا يراوده إلا الإنتقام وإنتزاع السلطان مهما كلفه ذلك من ثمن.

ثم تمكن تيموجين من جمع قبائل المغول تحت زعامته ولقب بعدها بإسم جنكيزخان عام ٦٠٣٢هـ/١٢٠٦ . ثم بدأ بعدها فى حركاته التوسعية.





الباب الأول


www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الأول

* التتار
* التتار والعرب
* التتار والإسلام


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

التتار

التتار : ترجع أصول التتار إلى الشعوب التركية التى سكنت فى الهضبة الآسيوية الشاسعة التى تمتد من أطراف الصين إلى أواسط آسيا وتشمل جغرافيتها عدداً من خطوط الطول والعرض، ولذا تختلف فيها البيئة وأنواع المناخ والتضاريس وتغلب عليها الصفة السهولية ذات المراعى المتغيرة، ومن ثم إحتراف الرعى والإنتقال فى سرعة هائلة على ظهور الخيل حتى تبدو حركاتهم وراء الرزق كأنهم فى حرب، ولم ترغب بعض قبائل التتار فى الإستقرار أو بناء المدن وغير ذلك من مظاهر الحياة المستقرة، وإنما صارت تطوف فى الأرض بين أطراف الصين ومنشوريا إلى بحيرة بيكال فى شمال منغوليا بل وفى منغوليا نفسها.

كانت الأحداث فى منغوليا فى النصف الثانى من القرن السدس الهجرى - الثانى عشر الميلادى وليدة سياسة الحكومة الصينية بالإضافة إلى الإسباب المحلية الأخرى.

وقد سارت سياسة الأسر الصينية تعمل على إخضاع الأمراء من البدو الذين يثورون بمعونة أفرع أخرى من الشعب نفسه، وفى ذلك الوقت أصبح تتر تبريز الذين أستعين بهم فى القضاء على أمراء المغول من القوة بحيث خشى بأسهم الصينيون، وقد أنضم تيموجين (زعيم المغول) إلى الحكومة الصينية ضد قبائل التتر ثم عاد تيموجين وحارب أسرة كن الصينية إنتقاماً لأمراء المغول الذين أدعى أنهم على قرابة بهم.

ثم وقعت بعد ذلك بسنوات قليلة فترة قلاقل داخل منغوليا، إذ حدث نزاع خطير علاوة على المشاحنات الكثيرة بين الأمراء والقبائل وكان تيموجين الزعيم

المغولى يحارب فى هذه المشاحنات كلها ومعه جاموقه أخا تيموجين فى الدم، وقد إنتخبه أتباعه حاكماً عليهم ولقبوه بلقب كورخان، ثم إختلف جاموقه مع تيموجين وحلفاءه وحشد جيشاً ولكنه لم يتمكن من السيطرة على جيشه وإنتهى إلى الضعف والتشتت.

إلا أن جاموقه سرعان ما إستعاد جيشه وتحالف مع الزعيم الصينى سنكن وولده وتمكن من أن يحل محل تيموجين حليف الصين السابق. الأمر الذى أضعف من مركز تيموجين فتخلى عنه أتباعه إلا أن تيموجين تمكن من الإلتجاء مع من بقى معه من أتباعه المخلصين إلى بحيرة بالجيونة الصغيرة ثم فاجأ خصومة فباغتهم بغروة مفاجئة. وهرب الزعيم الصينى سنكن وولده فعظم تيموجين فى عيون أتباعه وإعترفت جميع القبائل فى النصف الشرقى من منغوليا بتيموجين زعيماً لها فى عام ٦٠٠/١٢٠٣م. وتم له إخضاع النصف الغربى من منغوليا فى عام ٦٠٣/١٢٠٦ بعد غزو قبيلة نيمان ثم إتخذ تيموجين لنفسه لقب جنكيزخان بعدما تغلب على النيمان ثم وجد منغوليا بأكملها وأنشأ جيشاً بلغ تعداده عشرة آلاف رجل وجعل منهم ألف رجل حرس خاص له.

بعد أن أدرك جنكيزخان قوته العسكرية، بدأ يتجه ببصره إلى قبائل التتار الذين يسكنون فى إقليم منجوريا وشمالى شرقى منغوليا تلك القبيلة التى تميزت بروح قتالية عالية مما جعلها تهدد القبائل المغولية الغربية منها. كما أزعجت الصينيين من قبل وألحقت بهم المتاعب، حتى إنهم إستعانوا بهم ضد المغول أحياناً.

ولما قوى المغول بعد أن وحدهم جنكيزخان وقد جاهر جنكيزخان بعدائه للتتار وقال عنهم إنهم قتلوا آباءنا وأجدادنا، وطالب بالثأر منهم.

حارب جنكيزخان التتار وغلبهم فتشتتوا وتفرقوا. إلا أنه عقب مرور ما يقرب من ثلاثين عاماً إرتفع صراخ التتار أثناء مجازر المغول فى مناطق التتار فى قرى الغرب النائية غرب منغوليا.

ومع ذلك فقد ألحق بعض التتار فى جيوشهم المغول قهراً، الأمر الذى جعل البعض يطلقون إسم التتار على المغول أحياناً. وقد حارب التتار الذين عاشوا فى منغوليا وزحفوا مع المغول للقتال فى الحروب.

وقد أصدر جنكيزخان أمرا بمنع إسم التتار الذى كرهه وأبغضه، ولكن هذا الإسم قد إنتشر وبلغ مداه العالم، وأصبح التتار يتصفون بالهمجية عند بعض المؤرخين حينذاك، وحتى الآن أحياناً.

وقد بلغت القبائل التتارية الحدود الشمالية وسكنوا فى مدينة قازان التى تقع شمال بحر قزوين وشرق مدينة موسكو ثم إسترخان والقرم، وأطلق عليهم إسم التتار، وهم من الشعوب الناطقة بالتركية ولكن لهم لغتهم التتارية.

أما تتار قازان وهم سلالة ذات أصول تركية فقد تشتتوا فى مناطق متعددة بعد سقوط إمارة قازان وعرف التتار بأسماء المناطق التى سكنوها ومنهم تتار الفولجا.

***

التتار والعرب

قامت علاقات طيبة بين القبائل التتارية والتركيةوالمسلمين وزاد من توفيق هذه العلاقة التجار والرحالة العرب، وهذه العناصر التى موطنها ما وراء نهر جيحون (إقليم تركستان) وهذا الإقليم فتحه المسلمون فى العصر الأموى فى عهد

الخليفة الوليد ٨٦-٩٦ هـ/ ٧٠٥-٧١٥م وعلى يد قتيبة بن مسلم، وبعد فتحه إنتقلت إليه قبائل عربية كثيرة وإستقرت به وتزوج العنصران التركى والعربى وإنتشر بها لذلك الدين الإسلامى فى هذه المنطقة، وإنما بلغ المسلمون هذه الأقاليم تجاراً.

وكذلك إتصل الأتراك بالدولة الإسلامية ونزحوا إليها فى كثرة غريبة، وإستقرار فى أقطارها المختلفة فى العراق والشام ومصر وتوطدت الثقة بين العرب وتتار الفولجا وغيرهم من القبائل على الدخول فى الإسلام، وإتجه الكثيرون منهم وخاصة الشباب إلى البلاد الإسلامية ليتعلموا العقيدة الإسلامية حتى كان عهد الخليفة المقتدر العباسى فى عام ٣١٠ هـ/٩٢٢م الذى شجع تتار الفولجا وغيرهم على إعلانهم فى الدخول فى الإسلام وأنشأ الجوامع والمدارس فى بلادهم حتى صارت فى الشمال الأقصى مراكز كبرى تنشر الإسلام كما إزدهرت التجارة فى منطقة شرق أوربا.

لقد أرسل الخليفة العباسى المقتدر البعثة من بغداد إلى بلاد البولجار، وقد دون الرحالة العرب الذين زارو أرض البولجار تسجيلات قيمة فى تاريخ البولجار وحضارتهم وديانتهم، حتى إنه كان من بينهم العلماء والأدباء والأطباء وكانوا يعرفون الكتابة ويملكون الكتب المنسوخة بخط اليد ولما دخلوا فى الإسلام تغيرت أبجديتها إلى العربية، ثم إن البولجار إهتموا بالأدب العربى والفكر الإسلامى فأرسلت إلى بلادهم كتب عربية كثيرة وأصبحت دولتهم مسلمة فى أقصى المناطق الشمالية.

وهذا التقدم الحضارى الذى وصل إليه تتار البولجار قد أثار شكوك الروس الكييفية والمسكوفية وغيرتهم من البولجار فلقى البولجار من الإعتداءات

المتكررة. وهذا العدوان الذى جاء من الغرب، جاء مثله العدوان المغولى الذى قاومه التتار، إلا أنهم لم يصمدوا كثيراً وهزموا أمام الأعداء المغول (القبيلة الذهبية). ومع ذلك فقد تمكنت دولة البولجار من إستعادة قوتها حتى صارت أهم المراكز الثقافية والتجارية فى الأقاليم الشرقية بعدما ضعف المغول، وعند ذلك عادت الدولة الروسية إلى أطماعها فى دولة البولجار وهزمت الدولة البولجارية أمام الروس فتحول البولجار إلى مدينة قازان فى شرق موسكو التى عرفت بإسم «إمارة قازان» .

وفى عام ٨٣٥ هـ/ ١٤٣١م عاود الروس عدوانهم على إمارة قازان وتشتت شعبها فى أنحاء متفرقة من أرض آسيا، وأرغم بعض البولجار على التنصير قهراً.

على أن تتار قازان قد ربطتهم صلة مع البولجار، وقد إحتفظ كثيراً من الأسر التتارية بدليل يؤيد وجود علاقة وهى شجرة النسب بين التتار والبولجار وهذه الصلة الوراثية التى ربطت بين التتار والبولجار تبدو بوضوح عند الربط بين حضارة البولجار وشعب التتار حتى أن الملابس وطريقة إنشاء المبانى وفن الزخرفة والمصنوعات وغير ذلك، وهى من مظاهر الحياة وتبدو مستمرة عند الشعب التتارى، فزخرفة تتار قازان والفن القديم فى العصور الوسطى على ضفاف الفولجا وفن العمارة والديكور عند التتار مثل المسكن الريفى، كما أن لغة التتار الحالية هى إستمرار للغة البولجار وإدارة قازان، كما أن شكل وملامح تتار قازان هو شكل وملامح البولجار فى المناطق الأخرى.

كما أن الأبحاث والدراسات التاريخية أن هؤلاء التتار لهم صفاتهم التى تختلف عن صفات المغول الغازين، وذلك أن التتار بأصولهم القديمة على صلة حقيقية بسكان الفولجة المحليين، كما أن البولجا شكلو عنصراً أساسياً فى تشكيل شعب التتار.

على أن شعب جمهورية تتارستان الذى يحمل إسم التتار يعود بجذوره القديمة إلى تتار القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى، وعندما تمكن الروس من بسط سيطرتهم على إمارة قازان وإسترخان والقرم ظل إسم التتار يطلق على سكان تلك الجهات.

وفى الفترات التى تعرضت فيها أراضى البولجار والشعوب المجاورة لها للغزو المغولى وحين زحفت جيوش المغول عبر إيران والقوقاز إلى أوربا الشرقية وألحقت الهزيمة بالجيوش الروسية تمكنت القوات البولجارية من التغلب على المغول عام ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م فى أواسط نهر الفولجا، وانسحب المغول ولما تكررت محاولات المغول ضد شعب البولجار كان البولجاريون يهزمون المغول لشدة مقاومتهم للمغول وإستماتتهم فى الدفاع عن بلادهم، ولكن المغول تغلبت فى هجومهم على البولجار فى عام ٦٣٤هـ /١٢٣٦م حيث كانت أسرة «چنكيزخان» قد حشدت قواتها الكثيرة فغلبت القلة الشجاعة، حيث تفاوتت النسبة بين القوتين، وتغلبت الكثرة فى هذه المرة وإنهزم البولجار، ثم تساقطت المدن أمام جحافل المغول حتى وصلوا إلى الأرض الروسية وإستولوا عليها فى عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م وأصبحت الأراضى البولجارية والروسية خاضعة للمغول، ولكن المغول لم يستقروا فى تلك البلاد وسرعان ما كانوا ينسحبون عائدين.

وفى عام ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م تعرضت أراضى البولجار للهجمات الروسية وسقطت مدينتهم، وأعاد البولجار بناء مدينتهم التى عرفت بإسم «قازان»، وأطلق الروس إسم التتار على البولجار، وظلت إمارة قازان التتارية فى تطور مستمر وتمكنت من ضم الأراضى المجاورة لها فى الشمال والجنوب والشرق.

على أن حضارة البولجار التى تعد الحضارة التتارية إمتداد لها وإتفقت

الإقتصاد والحضارة عند كل من البولجار وتتار القازان فى الفلاحة والتجارة وبناء المدن والفنون والحرف وغير ذلك، وقد حافظ الشعب التتارى على أصوله البولجارية وتراثه الشعبى، ومع ذلك فقد تعرضت لغة البولجار مثل كل اللهجات التركية لتأثير قوى من اللغة العربية، وقد ساعد هذا التأثير على إثراء اللغة بصورة متطورة، وقد بقيت لغة تتار قازان كما هى لم تتغير عن اللغة التتارية الحديثة - إلا فى أقل القليل.

***

التتار والإسلام

وفى العصر الحديث يكتب المؤلفون بلغتهم التتارية وبالحروف التركية، ومع ذلك يرددون القول بأنهم سلالة البولجار ويؤكدون ذلك دائماً، فالتتار هم سكان البلاد الأصليين ومن وفد منهم لم يكن غازيا، فهم غير الغزاة المغول الذين قادهم الزعيم المغولى چنكيزخان.

فالتتار لهم ثقافتهم وحياتهم، وهم سلالة تلك القبائل التى سكنت هذه البلاد وخضعت مثل شعوب غيرهم للغزاة المغول الذين تزعمهم چنكيزخان.

وعندما دخل الروس فى الدين المسيحى الأرثوذكسى تمسك التتار - وهم ذو أصول تركية - بديانتهم الإسلامية ومع ذلك فقد ظلت العلاقة قوية بين الروس والتتار المقيمين فى تلك البلاد، والحقيقة المؤكدة أن التتار هم أتراك مسلمون.

حاولت الجماعات التتارية أن تجتمع تحت مظلة الجامعة التركية أو الجامعة الإسلامية بإعتبار أن التتار مثلها مثل العناصر التركية لها لغة واحدة هى التركية ولو أن للتتار لغتهم الخاصة بهم، إلا أن مسيحى الدولة الروسية لم

ترق لهم فكرة إجتماع التتار والأتراك تحت مظلة الوحدة التركية التى ستجمع الشعوب التركية فى وحدة إسلامية كبرى قد تضم هذه الوحدة الدولة العثمانية وتشكل هذه القوة إذا قامت خطورة على الدولة الروسية فعملوا على منع إنتشار فكرة الجامعة الإسلامية أو التركية بين الشعوب التركية فى الدولة الروسية وخاصة بين الشعب التتارى، ووضع الأتراك تحت الرقابة حتى لا تتم الوحدة التركية.

وقد نشط رجال الدين من الأرثوذكسى للمساهمة فى الرقابة على شعب التتار، وأعلنوا أن صعوبة حركة التنصير بين التتار سببها الدعوات الوحدوية بينهم حتى يزيدوا الموقف إشتعالاً بين الروس والتتار، ولما أراد التتار إستبدال إسم «المسلمون» بإسمهم المتفق عليه «التتار» هاج رجال من المسيحيين على هذا الإتجاه وحرضوا المسؤلين الروس بأن ذلك سوف يؤدى إلى إضعاف الديانة الروسية، ورفضوا فكرة إطلاق إسم «المسلمون» على التتار وإبقاء إسم «التتار» كما هو بغير تبديل.

على أن بعض من إهتموا بالنشاط التتارى من رجال الدولة الروسية لم يكونوا يرون أى خطورة من تجمع الشعوب التركية تحت أى شعار وكانوا لا يشكون فى وطنيتهم وإخلاصهم للدولة الروسية.

لقد بلغ عدد الشعوب التركية فى الدولة الروسية ثلاثمائه مليون نسمة يكتبون بحروف عربية وينطقون بالتركية ولهم عقيدة دينية واحدة هى الإسلام، فالتتار لهم انتماءهم الدينى، فهم مسلمون محمديون، وهم أتراك لإنتمائهم اللغوى التركى.

وواقع الأمر أن كثيرين يخلطون بين التتار والمغول مع أن التتار شعب بعيد

حقاً عن الشعب المغولى ولأن المغول الذين هاجموا روسيا فى الربع الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى بقيادة «چنكيز خان» بعد أن تغلبوا على التتار أرغموا بعضهم على الإنضمام إلى جيوشهم ومشاركتهم فى حروبهم قسراً ضد الشعوب الأخرى، فلذلك فقد إختلط الأمر على كثيرين فربطوا بين التتار والمغول وهو خطأ حيث أن الذين شاركوا من التتار مع المغول هم قلة لا يعتد بها بجانب الشعوب التتارية التى لم تتخل عن مقاومة المغول ولم يتخلوا عن هوايتهم أبداً، بل إنهم حققوا مع الشعوب المجاورة لهم نصراً حقيقياً ضد جيوش المغول فى الربع الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى، وقد لقى التتار ما لقيه غيرهم من إعتداءات المغول تلك الهجمات المغولية.

على أن الخطأ التاريخى فى الخلط بين التتار والمغول لم يكن قاصراً على المنطقة الروسية بل أن المؤرخين المستشرقين والأخريين ممن ألفوا فى تاريخ المغول وقوع هذا الخطأ فى إطلاق إسم التتار على المغول الغزاة من جيوش «چنكيزخان».

ولذلك فقد لجأ كثير من شعوب التتار إلى إطلاق إسم الترك على شعوبها ثم أضافوا أماكن تواجدهم مثل الأوزبك والأزريين وغيرهم، كذلك فإن كلمة مسلم حين أطلقت على تلك الشعوب مثل تتار الفولجا وغيرهم فإنهم كانوا يدركون مدى إعتزازهم بهذا الإنتماء إلى الإسلام.

ولما كانت الحرب العالمية الأولى شارك المسلمون فيها فى صفوف الجيش الأحمر الروسى فكانت الفرق والفيالق الإسلامية من التتار والباشكير المسلمين، وكذلك تكونت «اللجنة الإسلامية الإشتراكية» و«اللجنة الإسلامية» وتوابعها بأقاليم الفولجا وأورال وسيبيريا بإعتبارها من مؤسسات الحكومة الإشتراكية للشئون


http://www.al-maktabeh.com

الفصل الثانى
الهجرات التتارية لشرق أوربا

* التوسع الروسى فى شرق أوربا ووسط آسيا والقوقاز تسكنها القبائل التركية التتارية
* التتار والكنيسة الروسية



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثانى
الهجرات التتارية لشرق أوربا

ترجع أصول شعب التتار إلى الشعوب التركية التى تضم الإتراك والأذربيجان والقرغيز والتركمان والبلكار والقراتشاى والنوغاى وتتار القرم وتتار بولندا وتتار نهر الفولجا (البولجار)، والتتار منتشرون فى كثير من الجهات وقد حدث ذلك بعد هجوم القبيلة الذهبية (مغول جنكيزخان) وسقوط إمارة قازان وقد إكتسب هؤلاء إسم التتار وهم سكان المنطقة التى فى شرقى موسكو مثل الأذربيجان والكازاخ والقرغيز والإيغور ومن التتار «البولجار» ويعرفون أيضاً بإسم (البلغار) وهؤلاء التتار هم الذين إستطاعوا فى القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى تكوين دولة بلغاريا التى ضمت شواطئ البحر الأسود وحوض نهر الدون وبحيرة أزوف ومناطق القوقاز الشمالية، وشبة جزيرة الأناضول، وقد هزمت هذه الدولة أمام قبائل الخزار وضعفت فتوجه كثير من البلغار إلى حوض الدانوب وعاشوا هناك بين الشعوب، ثم صهرتهم الشعوب السلافية وظل إسم البلغار يطلق عليهم بعد ذلك، وتوجه آخرون منهم إلى جبال القوقاز ويعرفون هناك بإسم القراتشاى، والتتار وهم جميعاً لهم لغة تؤكد وحدة أصولها.

وهذه الشعوب مثل البلكار والقراتشاى والتتار (البولجار) والباشكير والكازاخ وتتار رومانيا ولتوانيا ينتمون إلى مجموعة اللغات التركية، فهم سلالة الإتحادات الدولية أو التجمعات الدولية القبلية الكبرى التى كانت تشغل منطقة تجتمع فيها قارتا أوربا وآسيا.

فقد أطلقت عليها الأسماء المختلفة، كالهون والبلغار والقبجاق (البولوفتسى) فهؤلاء كانوا يظهرون على مسرح التاريخ بين آن وآخر.

على أن هجرة تلك الشعوب إلى المجر وإستقرارها فى الأراضى المجرية، وتكرار تلك الهجرة الجماعية للبلغار إلى إقليم نهر الدانوب فى فترة ضعف القبيلة الذهبية كثرت حملات الروس ضد البلغار (تتار اليوم) ومما يذكر أن لغة الباشكير مفهومة بسهولة عند التتار (البولجار) ولغة التتار قريبة للغاية من لغة القراتشاى والبلكار وغيرها، وقد هاجرت مجموعة من الأسر البلغارية إلى المجر وإستقرت فى السهوب المجرية.

على أن للصين وأوربا دور فى ظهور التتار بإسمهم وكذلك الروس أطلقوا عليهم إسم التتار، وقد قاومت تلك الشعوب الروس عندما أرادوا فرض حركة التنصير عليهم ورفض الجميع حركة التنصير الإختيارية فكانت الهجرة إلى شرق أوربا وكانت الهجمات التى شنها البلغار ضد أراضى الإمبراطورية البيزنطية، وقد قاوم البيزنطيون هجمات البلغار ونجحوا فى إيقاف التوسع البلغارى فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى، فى عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس، وقد بلغ الضغط البلغارى ذروته إبان حكم الملك سيمون ٢٨٠-٣٠٥ / ٨٩٣-٧١٩ لرغبة الملك البلغارى فى مواجهة البيزنطيين مواجهة الند للند وقد تغلب البلغار على الإمبراطورية البيزنطية وأذعنت للبلغار فى تنفيذ مطالبهم، ثم عادت بيزنطية وتمكنت من مقاومة التهديد البلغارى والقضاء عليه، ثم تحول الموقف فى عهد الإمبراطور البيزنطى بازيل الثانى الذى إستطاع أن يغزو مملكة البلغار وضم بلغاريا إلى بيزنطة وجعلها ولاية للإمبراطورية.

ثم إمتد نفوذ بيزنطة شرقاً حتى وصل إلى داخل روسيا نفسها. وأخذت المؤثرات البيزنطية تتسلل إلى روسيا، وفى عهد الأسرة المقدونية البيزنطية وبدأ إهتمام بيزنطة بمختلف القبائل الآسيوية الرحل التى كانت تكتسح تلك المنطقة من آن لآخر.

وفى عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م هاجم الروس مدينة القسطنطينية ثم تغير الموقف بعد تحول الروس إلى المسيحية فى عام ٣٧٩هـ / ٩٨٨م. وهكذا بعد دخول روسيا فى المسيحية نظروا إلى التتار وهم مسلمون بأعتبارهم أعداء المسيحية، فرجال الكنيسة المسيحيون يعدون غير المسيحيين كفرة متخلفون، ومن هنا أطلق رجال القيصر الروسى وأنصار الكنيسة الروسية لقب تتار على كل من هو على غير الملة المسيحية تتارىٌ وتبعاً لذلك فقد أضطهد التتاريون من جانب الكنيسة والقيصر.

ولذلك فقد كانت حروب روسيا لبسط نفوذها علي شاطئ البحر الاسود في العهود التالية .

وتلي ذلك حروبها مع إمارة القرم ومع العثمانيين واستطاعت روسيا أن تحتل مناطق تعيش فيها شعوب تتكلم التركية وتعتبرها من الشعوب التتارية .

ثم امتد النفوذ الروسي الي مناطق الجنوب والشرق في الاراضي التي يسكنها شعوب تتارية . واتسع سلطان القيصر الروسي فادخل الي التتار « البولوفتسي» وهم سكان سهوب روسيا الجنوبية .

ولقد ربط البعض من دارسي التاريخ في دراساتهم بالغزاة المغول - التتار والامارات التتارية ثم سقوط مدينة قازان في بداية النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي نتيجة للحملات الروسية ضدها . باعتبار ان الغزو المغولي التتاري ضد الاراضي الروسية . ولكن المغول كانوا يرغمون الشعوب المهزومه علي المشاركة في حروبهم ضد شعوب العالم اجمع واذن فمشاركة بعض التتاريين في الجيوش المغولية لم يكن الإ قهرا ولا ذنب لمن شارك من التتار فيه ولا لوم عليهم . انما اللوم علي حكام المغول أنفسهم .

وهكذا فان هؤلاء التتار الذين يعيشون في الدول الروسيه ليس لديهم اي صلة تربطهم بالغزاةالمغول ، وان التتار يسمون انفسهم بولجار مؤكدين بهذا صلتهم المباشرة بالبولجار ولذلك فامارة قازان يعد تاريخها هو نفسه تاريخ دولة البولجاروهم (بلغار الفولجا) الذين بنوا حضارة معروفةفي التاريخ .فالتتار ليسوا همجيين كما يصفهم الآخرون ولقد كانت العلاقات بين الروس وبولجار قازان تسير علي طريق الصداقة والتعاون منذ القدم .اذا استبعدت حدوث بعض المناوشات والخلافات وكثيرا مادونت المخطوطات الروسيه العلاقات الودية بين الشعبين ، وكثيرا ما أقدم البولجار الي تقديم عشرات السفن التي تحمل الخبز الي الشعب الروسي في ظروف المجاعات وكانت بين الشعبين علاقات تجارية وثقافية وتعاون ضد الغزاه المهاجمين وكثيرا ما تعاونت قبائل منطقة الشرق واتحاداتها ويجانبها القبائل التي تتكلم التركية التي عاشت في سهوب روسيا الجنوبية وحوض نهر الفولجا وشمال جبال القوقاز وشبه جزيرة القرم .

وهكذا يتضح ان واقع الامر بين الشعوب الناطقة بالتركية والدولة الروسيه لم يكن إلا الإسلام .

• • •

التوسع الروسى فى شرق أوربا ووسط آسيا والقوقاز وتسكنها القبائل التركية التتارية.

وقد عمدت روسيا فى العهود التالية إلى السيطرة على شواطئ البحر الأسود وصارت حروبها مع إمارة القرم والدولة العثمانية التى إنتهت بضم القرم إلى الدولة الروسية وأيضاً ضم المناطق التى تسكنها الشعوب الناطقة بالتركية،

وقد إمتد النفوذ الروسى فى آسيا بعد إخضاع القوقاز جميعها وأخذ أردهان وبوتى وباطوم، وأصبحت حدود الروسيا متاخمة لأرمينيا العثمانية.

وحين تمكن الروس من فرض معاهدة سان إستفانو على الباب العالى، إستقلت رومانيا نهائياً عن الدولة العثمانية وأخذت جزءاً من دلتا الدانوب، وضمت الروسيا بسارابيا، كما ضم إقليم الدبرجة إلى بلغاريا، وضمت الجبل الأسود بعض أجزاء من الهرسك، وأصبحت بلغاريا ولاية كبيرة مستقلة فعلياً مع تبعية أسمية للسلطان، وإحتلتها روسيا حتى تمكن البلغاريون من تكوين جيش منظم، لم يمض كثيراً إلا وقد تكونت بلغاريا الحديثة فى معاهدة برلين عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م وإعترفت الدول الأوربية بإستقلال الدولة الرومانية منتزعاً بسارابيا التى ضمت إلى روسيا.

وعلى الرغم من خروج الصرب منهزمة بعد الحرب مع الدولة العثمانية، إلا أنها حصلت على إستقلالها عن الدولة العثمانية وكذلك ضمت إليها بعض الأراضى العثمانية، وبعد ذلك مهدت الدولة الأوربية لقيام دولة يوغوسلافيا الحديثة، ثم بدأت الصرب لا تقدم إهتماماً للدولة العثمانية لتدهور قوتها وضعف نفوذها تدريجياً، وإحتلت النمسا البوسنة والهرسك بموجب معاهدة برلين، تلك المعاهدة التى وضعت الأسس للنظام السياسى لشبة جزيرة البلقان وأكدت إستقلال رومانيا والصرب والجبل الأسود، وقد تمكنت روسيا القيصرية من إبتلاع معظم آسيا الوسطى ومعظم القوقاز، فمنذ عام ١٢٨١هـ / ١٨٤٦م كان التوسع الروسى مستمراً فى تركستان فسقطت طشقند وسمرقند فى أيدى الروس وصارت بخارى إمارة تابعة لبطرسبرج، وأثار تقدم الروس فى آسيا الوسطى مخاوف أوربا وساءت العلاقات بين روسيا وإنجلترا التى رأت إمكان إمتداد النفوذ الروسى إلى أفغانستان وإيران.

على أن حروب روسيا القيصرية من أجل السيطرة على شواطئ البحر الأسود ثم حروبها مع إمارة القرم والدولة العثمانية التى إنتهت بضم مناطق تسكنها الشعوب الناطقة بالتركية إلى روسيا القيصرية قد جعلت إسم التتار يطلق على تلك الشعوب التركية، وبالإضافة إلى ذلك فإن إمتداد النفوذ الروسى إلى مناطق الجنوب والشرق جعل إنتشار إسم التتار يتسع حتى شمل كثير من شعوب القوقاز وسيبيريا وآسيا الوسطى.

عاش التتار فى جهات متعددة منها ميديا الجبل والخازار (أذربيجان)، وقد فتح هذه البلاد المغيرة ابن شعبة فى أوائل العهد الأموى، ولما وليها الضحاك بن قيس إنحاز الخوارج إلى الضحاك، وكان الخوارج ينادون بالمساواة بين جميع المسلمين ومن غير تفرقة، فقد جذبت الخوارج إليها بهذا الشعار الكثيرين من تتار هذه البلاد ودخلوا فى الإسلام كما حدث فى أنحاء كثيرة من بلاد الإسلام.

وحين ولى الحجاج القائد العربى الكبير قتيبة بن مسلم الباهلى على خراسان فى عام ٨٦هـ / ٧٠٥م فى أول خلافة الوليد بن عبد الملك أخذت فتوحات العرب لبلاد ما وراء النهر مظهرها الجدى حيث كلف قتيبة أخاه صالحاً فغزا بلاد فرغانة وإفتتح كاسان وأورشت وخشكت - مدينة فرغانة القديمة - وفى عام ٨٧ هـ/ ٧٠٥م غزا قتيبة بيكند، أدنى مدن بخارى إلى النهر وإفتتحها عنوة ثم عاد إلى مرو مقر قيادته، وفى عام ٨٨هـ/ ٧٠٦م غزا قتيبة نومشكت ورا مثنه، وحاربه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة فإنتصر عليهم بعد قتال عنيف بالغ الصعوبة، وفى عام ٨٩هـ/ ٧٠٧م غزا قتيبة بخارى وتعذر التغلب عليها ولكنه عاود الكرة فنجح فى تحقيق النصر وإستولى عليها وأسس بها جامعاً وهدم بيت النار فكبر فى عيون شعب الصغد وقبلوا دفع إتاوة للمسلمين.

وظل قتيبة يوجه غزواته إلى بلاد الصغد فى الأعوام التالية وتم له خلالها الإستيلاء على بعض المدن، وأفتتح سمرقند عام ٩٢هـ/ ٧١١م وغزا فرغانة والشاس (طشقند) فى عام ٩٥هـ/ ٧١٣م وفتح كاشان مدينة فرغانة وخجنده وشارك فى صفوف المسلمين جماعة من الفرسان وخوارزم وكثير من سكان هذه البلاد من الشعب التتارى الذى إستنجد بأهل الشمال من تركستان وغيرها، ولكن العرب والمسلمين كانوا قد إستولوا عليها.

لقد فتحت هذه الإنتصارات العربية الإسلامية المجال فى أرض الترك لإعتناق الكثير من التتار الدين الإسلامى، ومما لا شك فيه أن جهاد المسلمين وخاصة قتيبة بن مسلم الباهلى فى الفتوحات قد تبعه جهاد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية، فقامت أعظم المراكز الإسلامية فى وسط آسيا وإمتدادا إلى شمالها شرقاً وغرباً حيث توطدت العلاقات بين العرب والتتار والترك بصفة عامة وإنتشرت العقيدة المحمدية بينهم وصاروا مسلمين حقاً وتأكدت عقيدتهم وبقيت راسخة فى نفوسهم رسوخ الجبال وستبقى إلى ما شاء الله.

والتتار أول من إستخدم طباعة الكتب بين الشعوب الناطقة بالتركية وقد إحتل القرآن الكريم مكانة خاصة فى طبع ونشر الكتب التتارية. وكانت دور النشر تقوم بإصدار مؤلفات علماء الشرق مثل الغزالى والكندى وأخرين، ولعب التتار دوراً هاماً فى تقريب بعض الشعوب الناطقة بالتركية إلى الإسلام مثل الباشكير والكازاخ والقرغيز.



التتار والمسيحيين الروس

لما أدرك رجال الكنيسة الروسية ما كان عليه تجار التتار من مهارة على الرغم من إنهم لم تكن ظروفهم متكافئة مع التجار الآخرين فى الأسواق الشرقية ووعيهم القوى بأصولهم وكفاحهم من أجل التقدم الإقتصادى والحضارى وذلك بتوفير المكتبة والمدرسة فى كل قرية، ونشاطهم من إقامة المدرسة والمكتبة فى كل مسجد. ثم إقامة صحافة قومية وإستمرار صلاتهم الثقافية مع شعوب الشرق الإسلامى، وإدراكهم العميق لأصولهم القومية، أثار كل ذلك رجال الكنيسة عليهم وكذا المبشرين، فكشفوا عن حقدهم وكراهيتهم وزرعوا بذور الشك فى قلوب رجال الحكومة ضد هؤلاء الرعايا من المسلمين. وطالب رجال الكنيسة من التتار الدخول فى المسيحية تطوعاً ولكنهم رفضوا سياسة التنصير الإختيارية، وقد أدى ذلك إلى موجة من الضغوط الإقتصادية والحملات الإضطهادية حتى إنهم أشاعوا أن هؤلاء التتار هم فى الحقيقة من سلالة المغول الغزاة الذين غزوا الأراضى الروسية وإحتلوها ما يقرب من قرنين من الزمان كما نسبوا إليهم مساهمتهم فى حركة (الجامعة التركية) والجامعةالإسلامية، حتى أن إنزال العقاب بهم دون معرضة من أفراد الشعب الروسى، لأنهم قدموهم فى الصحافة وأجهزة الإعلام الأخرى على أنهم يمثلون خطراً على الشعب الروسى.

فعقب تفكك الإمبراطورية الذهبية المغولية ومعاودة تتار الفولجا بناء دولتهم (بولجار) بدأ رجال الكنيسة المسيحيين يشبهونهم بالمغول وهم مسلمون ولكن لأنهم مسلمون فهم إذن أعداء للمسيحيين.

ولما أخذت النهضة الإجتماعية والقومية فى الظهور عند التتار تحت تأثير نضال الشعب الروسى من أجل الحرية إشتدت الحركة المناهضة للمسلمين التتار لإثارة العداء بين الشعوب وعرقلة الحركة الثورية فى البلاد.

على أن الأمر قد تغير بعد ذلك، إذ أن الأحوال فى الدولة القيصرية كان نفوذ الكنيسة قوياً فكانت كثيراً ما تعمل على التدخل فى المسائل السياسية فتملى إرادتها عن طريق القيصر والحكومة لتجمع إليها السلطة الدينية والدنيوية، فلما جاءت البلشفية كانت السياسة الجديدة ترمى إلى فصل السلطتين وإعطاء مالله لله وما لقيصر لقيصر ومن ثم تمكن الساسة الشيوعيون من كبت التدجيل بإسم الكنيسة وضغط الكهنة ورجال الدين ومن هنا نشأ الإحتكاك فادعى الرهبان زوراً وبهتاناً أنهم كفرة ملحدين خارجين على الله والدين .. وذهب الإدعاء إلى الكلام فالنقاش فالجدل والنضال .. وأبى كل فريق الرضوخ للآخر.

فلا الكنيسة قبلت أن تتنازل عن حقوقها السياسية ولا جماعة الحزب الشيوعى رضوا أن يشركوا القساوسة معهم فى الحكم أو توجيه دفة الحكم السياسى .. وإشتد الصراع والقتال. وأعلنت الكنيسة ضدهم قانون الحرمان، وقابل الشيوعيون الإتهام بالتحدى، وخرجت المبارزة إلى إستعمال القوة والعنف وعمدت الشيوعية إلى الشدة فألقت مخالبها على الكهنة والزعماء الدينين فزجت بهم فى السجون ودفعتهم إلى مقاصل الإعدام، وأصبح الدين فى الدولة الروسية فى عهد ما بعد الثورة وسقوط القيصرية فى شكل جديد فصارت الحرية للأديان فكل إنسان له حرية الإعتقاد دون أن يتعرض له أحد بإيذاء، والمسلمون التتار هناك محترمون مهابون، لهم كرامتهم ولهم مقامهم الرسمى فى الدولة وهناك جامعات يتعلم فيها المسلمون من التتار أصول الدين وقواعده ولهم فى وظائف الدولة مكانتهم.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الباب الثانى
المغول


http://www.al-maktabeh.com

الفصل الأول
هجرات المغول إلى الصين
وإلى أوربا الشرقية

* الصراع بين البلغار والترك وبيزنطة
* البوجوميلية
* البجناكية




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

المغـــــــول

نشأ المغول فى هضبة منغوليا شمالى صحراء جوبى وهى أراضى واسعة تتقدم المياه فى بعض جهاتها وتكون حاجزاً منيعاً بين الأقاليم الصينية الحارة وبين الأراضى الباردة فى سيبيريا وقد جعلت الظروف الجغرافية من هذا الأقليم جدباً حيث تمتنع الرياح الدافئة عن هذا الإقليم بفعل الجبال المحيطة به. وفى الشتاء يصير المناخ شديد البرودة فنتج عن ذلك ندرة الزراعة فى غالبية تلك الأراضى، وهذا ما دفع السكان إلى الحياة الرعوية والجرى وراء الرزق وصارت حياتهم حياة التنقل وعدم الإستقرار، وعفت نفوسهم عن الزراعة، ولذلك فحياتهم المفضلة فى الجبال طالما وجد فيها العشب، فإذا إنعدم العشب هجروا الجبال ولكنهم لم يألفوا معنى الحضارة وكثيراً ما لجأوا إلى التنافس والمشاحنة على الأرض العشبية.

وقد تكاتفت القبائل كل قبيلة بنفسها، ومنها قبائل المغول التى عاشت حياة تميزت بالخشونة والعنف، ومع ذلك فقد غلبها طموحها للحصول على ما فى يد الصينيين المجاورين لهم فى الجنوب.

وإزاء تلك الظروف إتجه الصينيون إلى بناء السور العظيم لوقف غارات المغول.

هجرات المغول إلى الصين وإلى أوروبا الشرقية

وفى القرن الثالث عشر ق.م فى عهد أسرة تسين أقليم سور الصين العظيم ليكون سداً منيعاً ضد هجمات المغول الهون فصدتهم جيوش الصين. كما هاجرت قبائل كثيرة مغولية (الهون) متدفقة إلى القارة الأوربية وكانت من العوامل الهامة التى قوضت أركان الأمبراطورية الرومانية فالقبائل الآسيوية الضخمة كانت تمثل

الجيرة الدائمة لشعوب أسيا الصغرى والقوقاز والبلقان منذ القرنين الثالث والرابع الميلاديين، وكانت أعدادهم تتزايد فى هذه المناطق بصفة مستمرة.

وبعد ذلك ظهر من القبائل التركية المغول فى أوربا الشرقية منها خراز وكانت تسكن نهر الفولجا وشمال القوقاز وهى المناطق التى سكنها الهون من قبل. وفى نهاية القرن السادس الميلادى ظهرت مملكة البلغار الكبرى ثم إتجه جزء منهم إلى سهوب الدانوب وقد مهد لهم أقرانهم الهون هذا الطريق.

الصراع بين البلغار وبيز نطة

يحتل الصراع بين البلغار والأتراك وبيزنطة مكانة هامة بحيث أصبح الخطر البلغارى عند بداية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى أكبر منه فى أى وقت مضى وذلك على أثر ما وصلت إليه دولتهم من قوة مكنتها من تحدى سلطة إمبراطور الروم (الدولة البيزنطية) نفسها وتهديد عاصمتها ولكن فالبرغم من ذلك إستطاع الأباطرة المقدونيون بعد حروب طويلة إمتدت أكثر من قرن من الزمان، أن يخضعوا دولة البلغار بأكملها ويحولوها إلى ولاية من الولايات التابعة لحكمهم.

وبعد أن إستقر البلغار فى أرض الدانوب فى فترة سابقة تأثروا برعياهم الصقالبة وإقتبسوا اللغة الصقلبية. وقد أسس أبناء كوبرات أول مملكة بلغارية فى خلال القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى، وإتخذوا أبوبا عاصمة لهم. غير أن الإنقسامات الداخلية أدت إلى تفتت دولتهم ولم تتمدد حدود بلغاريا مرة أخرى إلا منذ أوائل القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى فى عهد القائد الكبير الخان كروم.

إعتنق البلغار المسيحية فى عهد الخان بوريس ٢٣٨-٢٧٥/٨٥٢-٨٨٨م ، وقيام كنيسة بلغارية ذات إستقلال ذاتى إستخدمت اللغة البلغارية فى طقوس الصلوات. كما إعترفت بتبعيتها لكنيسة القسطنطينية. وكانت تلك الرابطة الروحية من أهم العوامل الداخلية التى أدت إلى توجيه إهتماء البلغار إلى الإمبراطورية البيزنطية فبدلا من الإهتمام بإخضاع الصرب الصقالبة وإنشاء إمبراطورية صقلبية عظيمة وتركزت سياسية البلغار فى التوسع على حساب الإمبراطور البيزنطية والإستيلاء عليها ولقد إزدادت قوة مملكة البلغار إذ أصبحت دولة فسيحة تشمل الأقاليم الممتدة من شمال الدانوب إلى شبه جزيرة البلقان كما إمتدت مساحتها غرباً إلى قمم جبال بتروس.

ومن الناحية المعنوية أصبحت بلغاريا بعد أن تمت تملية المزج بين العناصر البلغارية والصقلبية دولة متجانسة ذات نظام ملكى قوى وتدعم وحدتها الديانة المسيحية. كما وصلت هذه الدولة إلى مستوى عال من التحضر نتيجة لإتصالها ببيزنطة. وكان من الطبيعى يغرى كل ذلك الملوك البلغار ويدفعهم إلى تنازع السيادة على البلقان مع الأباطرة البيزنطيين. ولتحقيق هذه الأحلام كان يكفى أن يظهر رجل طموح فى الميدان السياسى وكان القيصر البلغارى سيميون، ٢٨٠هـ- ٣١٥ /٨٩٣ - ٩٢٧ م هو ذلك الرجل، وكان تلقى تعليمه فى بيزنطة حيث عاش كرهينه، كما كان مولعاً بعظمة وحضارة البيزنطيين، ولقد أطلق عليه لقب بطليموس الجديد بفضل ما حصل عليه من علم فى القسطنطينية هذا وقد شجع سيميون أثناء حكمة حركة فكرية فنية هامة إكسبته لقب شارلمان بلغاريا.

وفضلا عن ذلك كان سيميون محارباً قديراً وهكذا توافرت عدة عوامل جعلته يحلم الإستيلاء على القسطنطينية ووضع تاج خلفاء قسطنطين على رأسه.

وكانت الأسباب المباشرة التى أدت إلى بداية الصراع البلغارى البيزنطى إقتصادية فى طبيعتها وتلك الأمبراطورية وافقت على إحتكار التجار البلغار.

هذا وقد أمر الأمبراطور ليو السادس بنقل مخازن بضائعهم من القسطنطينية إلى سالونيك وعلى ذلك أعلن سيميون الحرب وقد أدرك ليو السادس عدم إستطاعته مقاومة الغزو البلغارى لإنشغال القوات البيزنطية فى حروبه مع العرب ولذلك طلب المساعدة من العناصر المجرية المتبربرة، ووافق الأخيرون على القيام بهجوم مفاجئ على الحدود الشمالية لبغاريا لتحويل إهتمام البلغار عن حدود بيزنطة.

كانت هذه الخطة بالغة الأهمية فى التاريخ الأوربى فعند نهاية القرن التاسع ولأول مرة فى التاريخ إشترك عنصر جديد فى السياسة الدولية الأوربية وهى المجر وهم أتراك من وسط آسيا وعرفوا بإسم الآفار، وتغلبت المجر على البلغار فلجأ البلغار إلى التفاوض مع بيزنطة كسبا للوقت ثم عمد البلغار إلى إستمالة الأتراك البجاناكية لمعاونته فى التغلب على قهر المجر وإعادتها إلى مواقعها بوسط وادى الدانوب.

وعاد ثانية إلى الحرب ضد بيزنطة وتمكن من الوصول إلى أسوار القسطنطينية وتم التفاوض بين الطرفين وإنتهت إلى عقد صلح تعهد فيه سيميون بعدم القيام بأى عمل عدائى ضد بيزنطة مع دفع جزية سنوية.

إلا أن سيميون سرعان ما إستأنف نشاطه ضد بيزنطة ولما طمع سيميون فى ضم مدينة سالونيك إليه ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤م قدم له ليو السادس أراضى غيرها مقابل تخليه عن سالونيك، ثم عمل سيميون على توحيد القبائل الصقلبية فى شبه

جزيرة البلقان تحت سيطرته مما أظهر القومية البلغارية فى البلقان وبقى الوفاق بين بيزنطة وبلغاريا مستمرا فى عهد ليو السادس، ولكن مع ضعف الحالة الداخلية للأمبراطورية البيزنطية.

وعقب موت ليو السادس، إتجه سيميون إلى العودة لمهاجمة بيزنطة وتمكن فعلاً من تحقيق عدة إنتصارات على البيزنطية، ونتيجة لهذه الإنتصارات البلغارية فقد أعلن سيميون نفسه قيصر البلغار وإمبراطور الرومان، وأقام بطريركية مستقلة فى برسلاف عاصمة البلغار وإتسعت رقعة ممتلكات البلغار وتمكن البلغار من فرض جزية على بيزنطة تدفع سنوياً.

لقد إمتدت الأراضى البلغارية فى عهد سيميون من الجزء الأدنى من الدانوب إلى أواسط ترقيا ومقدونيا حتى سالونيك وقد كان هذا تمهيداً لفرض سلطان الصقالبة على على شبه جزيرة البلقان ولكن وفاة سيميون عام ٣١٥/ ٩٢٧ حالت دون ذلك.

توفى سيميون وخلفه على العرش البلغارى إبنه بطرس ٣١٥ – ٣٥٨/ ٩٢٧ – ٨٦٩ م ولم يكن الإبن فى قوة أبيه وشجاعته، وإنما كان شخصية ضعيفة يميل إلى اللعب العابث والجرى وراء الإنغماس فى الشهوات، لذلك كان أول عمل أقدم عليه عندما إعتلى عرش بلغاريا هو عقد صلح مع بيزنطة كما تزوج بطرس أميرة من بيزنطة إسمها ماريا ليسكابينا وهى حفيدة الأمبرادلور. وعاشت الدولتان طيلة عهد بطرس ملك البلغار نحو أربعين سنة عهد إستقرار وسلام.

إلا أن عهد الهرطقة البوجوميلية وإنتشارها فى أنحاء البلاد البلغارية قد أدى إلى تصدع الوحدة الدينية بها كما أدى إلى إنحلال الشعور الوطنى البلغارى.

***

البوجوميلية

هى عقيدة مثنوية تقول بأن العالم يخضع لسيطرة قوتى الخير والشر، وإن الصراع بينهما هو الذى يحدد مصير البشر. وقد ثار أصحاب هذه العقيدة على المسيحية مما أضعف من الدولة والكنيسة فى بلغاريا ويبدو أن الفقراء وجدوا فى هذه العقيدة فرصتهم للإنتقام من الأغنياء فإتجهوا إلى السلبية كدعوة مناهضة لحركة الحياة التى أخرجهم منها الأغنياء وصاروا على هامش الحياة وزاد من ضعف البلغار ظهور المجر والبجناكية بمظهر الأقوياء وهددوا البلغار وهددوا بيزنطة حتى غزوا تراقيا ووصلوا إلى القسطنطينية، فعقد الإمبراطور رومانوس الثانى ٩٥٩ - ٩٦٣ م صلحا معهم.

أما فى عهد الأمبراطور نقفور فوكاس ٩٦٣ - ٩٦٩ م فقد رفضت بيزنطة دفع الجزية للبغار وطلب نقفور مساعدة الروس لمهاجمة بلغاريا، ودخل الروس بلغاريا وإستقروا بها ورفضوا مغادرتها.

فلما إعتلى يوحنا تزيمكس عرش بيزنطة ٩٦٩ - ٩٧٦م عبر سفياتوسلاف حاكم كييف الروسى البلقان ونشر الذعر فى البلاد، وإشتبك البيزنطيون مع الروس فى معركة عند أركاد يوس بوليس ثم عبر الأسطول البيزنطى نهر الدانوب وعبر تزيمكس البلقان وإستولى على برسلاف، وحاصر سفياتوسلاف وأرغمه على الإنسحاب ثم هاجم بلغاريا، وقضى على البطريركية البلغارية المستقلة وفى عهد الأمبراطور بازيل الثانى ٣٦٦ - ٤١٦ / ٩٧٦ - ١٠٥٢ كان البلغار قد تمكنوا بزعامة الكونت شيشمان وإبنه القيصر صمويل وإخوته من العمل على إعادة بلغاريا وقامت حركة تحرير لأراضى بلغاريا التى على الدانوب وغزوا مقدونيا

وتسالیا حتى شبه جزيرة البليبونيز.

ثم عاود البيزنطيون جهادهم ضد البلغار، وفى عام ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م تغلب البيزنطيون على البلغار فى المناطق من الدانوب حتى الأدرياتى وسرعان ما تم إخضاع كل البلاد وفى نفس عام ١٠١٨م ثم القضاء نهائياً على الدولة البلغارية الأولى وقد إتخذ بازيل الثانى بعد ذلك إعادة بناء بلغاريا من جديد وترك لهم عاداتهم وطرق حكومتهم، وعمل على كسب الأغنياء إلى صفه ولم يعترض على سياسة رئيس أساقفة أو كريدا.

وهكذا عادت الأراضى البيزنطية إلى بيزنطة من البحر الأدرياتى إلى البحر الأسود ومن الدانوب إلى أقصى جنوب البلوبونيز، وبذلك عادت السيطرة على شبه جزيرة البلقان البيزنطية.



البچناكيـــة

عرف البيزنطيون البجناكية منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى حيث كانوا ينزلون فى الأراضى الممتدة من شمال الدانوب الأدنى وفى السهول فى جنوب روسيا فهم قد عاشوا فى تلك المناطق حتى ما وراء نهر الدنيبر، وقد تعرضت حدودهم الشرقية لإغارات قبائل الغز والكيبومان وكانت جميع تلك العناصر من أصل تركى يرجع إلى القبائل السلجوقية الذين هددوا حدود بيزنطة فى آسيا الصغرى فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، على أن لغة هؤلاء هى اللغة التركية .. وكان البجناكية أهم تلك الجماعات فى شمال بيزنطة وكانوا يعدون عند البيزنطنيين حاجزاً بينهم وبين الروس والمجر والبلغار.

وعندما أخضع بازيل الثانى بلغاريا لسلطان بيزنطة صار البجناكية على علاقة مباشرة مع بيزنطة والبجناكية شأن كل الجماعات التى تتكلم التركية ميالون بطبيعتهم البدوية إلى الهجوم وإظهار القوة لجيرانهم وهم كثيرون، وقد عبر البجناكيون نهر الدانوب فى منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى.

وفى عهد الأمبراطور مونوماخوسى ٤٣٤- ٤٤٦هـ/ ١٠٤٢-١٠٥٥م منحت بيزنطة للبجناكية بعض أراضى بلغارية والحصون للإقامة فيها، على أن يحرسوا الحدود البيزنطية فى المقابل إلا أن البجناكية واصلوا زحفهم صوب بيزنطة فى نحو ثمانين ألف ولكن قسطنطين تمكن من صدهم.

على أنه من مواصلة الزحف البجناكى المتكرر على بيزنطة أرغم البيزنطيين على إستخدام اللين كساسية بيزنطية مع البجناكية، فقدمت إليهم الهدايا والأعطيات كما منحتهم الإمبراطورية البيزنطية الألقاب البيزنطية الرفيعة لدرء الخطر البجناكى عند الحدود الشمالية لبيزنطة.

على أن البجناكية عملوا كوسطاء فى تجارة بيزنطة مع الروس والخزر وغيرها وهكذا كان لهم دور خلال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى فى النواحى السياسية والإقتصادية بين بيزنطة وجيرانها من الأتراك فى الشرق الأسيوى فى النهاية عقد صلح بين بيزنطة والبجناكية.

أما بالنسبة للموقف فى آسيا الصغرى فقد كان مماثلاً فى الخطورة فى أوربا الشرقية بالنسبة لبيزنطة، فتحت قيادة ثلاثة من الرجال المشهورين وهم «طغرل بك» و«ألب أرسلان» ٤٥٨ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٥ - ١٠٧٢م و«ملك شاه» ٤٦٥-٤٨٥ هـ/ ١٠٧٢ - ١٠٩٢م قام الأتراك السلاجقة بمهاجمة بيزنطة

وساعدتهم الظروف على الإستيلاء على مدينة آنى ثم قيسارية وتشونيز ولم يكن الأرمن على وفاق مع البيزنطيين بسبب الخلافات الدينية مما أضعف من ولاء أرمينية لبيزنطة.

وفى عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م خرج الإمبرطور الرومانى رومانوس ديوجين بجيش عظيم يبلغ المائتى ألف لمهاجمة البلاد الإسلامية وضم جيشه عناصر متباينة من القبائل المغولية ما بين غزى وقفجاقى وكرجى وخزرى وأرمنى ووصل بجيشه إلى ملاذكرد من أعمال خلاط، وعلم ألب أرسلان بوصوله إلى هذا البلد وكان حينذاك فى مدينة خوى من بلاد أذربيجان وذلك بعد عودته من حلب مباشرة ولم يكن معه من الجيوش ما يكافئ جيوش الروم.

ورأى أنه إن تمهل لحشد الجموع ضاع الوقت وعظم خطر العدو. فسار بمن معه من الجند وعددهم خمسة عشر ألف جندى وتلاقى الجيشان عن ملاذكرد فى عام ٤٧٤ هـ/ ١٠٧١م وإنتصر جيش ألب أرسلان على الروم حيث وقع الأمبراطور فى الأسر، ونتج عن هذه الموقعة دخول الأتراك السلاجقة فى آسيا الصغرى وإستقرار المسلمين لأول مرة فيها فى هذا الجزء الهام من ممتلكات الدولة البيزنطية. فقد بعث ألب أرسلان إبن عمه سليمان بن قتلمش إلى آسيا الصغرى فأقام بها دولة سلاجقة الروم.

تلك الدولة التى عمرت فى آسيا الصغرى حتى صارت أطول الدويلات السلجوقية عمراً، ولم تسترد بيزنطة قوتها بأكملها بعد موقعة ملاذكر أبداً.

فبعد ذلك فقدت بيزنطة إلى الأبد كل الأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى وأرمينيا وكبدوكيا أى هذه الأقاليم التى كانت بيزنطة تجمع منها خيرة جنودها وأشهر قوادها. بعد ذلك سارت الأمور بشكل ملائم لمصلحة الأتراك أثناء الفوضى المتفشية فى بيزنطة فقد سقطت فى أيديهم قونية ثم نيقية.


http://www.al-maktabeh.com

الفصل الثانى
الدولة العباسية قبل ظهور المغول

* الدولة الخوارزمية
* ظهور المغول
* چنكيز خان والموقف الدولى
* الدول الإسلامية فى شرق وغرب آسيا بعد ظهور چنكيز خان.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثانى
الدولة العباسية قبل ظهور المغول

قامت الدولة العباسية معتمدة على عناصر غير عربية منهم العنصر الفارسى منذ العصر العباسى الأول ١٣٢ - ٢٣٢ هـ/ ٧٤٩ - ٨٤٦م.

ثم جاء بعدهم العنصر التركى، وترتب على إعتماد الدولة على عناصر متعددة أن تحكمت هذه العناصر وعملت على إضعاف الحكام من الخلفاء العباسيين لمصالحهم الشخصية، ثم إمتد هذا الضعف إلى عموم الدولة على إتساعها فى الشرق والغرب وإنقسمت الدولة إلى دول وديلات متعادية متنافرة ترتفع الواحدة على إكتاف الأخرى.

فالأتراك عنصر حربى ممتاز قوى الجسم وله مهارة فى فنون القتال والفروسية، وهذا ما دفع العرب إلى إعطائهم الفرصة للمشاركة فى الدفاع عن البلاد، وعملوا على مساواتهم هم ومختلف الشعوب مع العرب ومشاركة الترك فى جيش الدولة بأعداد كبيرة وذلك لأنه لم تكن للترك عصبية يعتمدون عليها وتدفعهم إلى تكوين حركة تمرد.

حدث ذلك فى عهد الخليفة المأمون، فلما جاء الخليفة المعتصم ضمهم إلى جانبه وأبعد العرب من الديوان ونتج عن ذلك أن الترك صاروا أكبر القادة فى الجيش وتمكنوا من السيطرة على عموم الدولة.

كما ظهرت الروح القومية وبدأت الحركات الإنفصالية فى أطراف الدولة وقيام دول مستقلة.

حدث هذا فى العصر العباسى الثانى ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ/ ٨٤٦ - ٩٤٥م ومن الدول التى إستقلت عن الدولة العباسية، الدولة الطاهرية ٢٠٥ - ٢٥٩ هـ/

عرف يعقوب بن الليث باليقظة وحسن التدبير وكان لا يطلع أحداً على سره ولا يعرف أحداً بتدبيره وعزمه، حتى صارت له السيادة على خراسان وفارس وسجستان وكرمان والسند، وقد عمل على التقرب إلى الخليفة العباسي، بإرسال الهدايا إليه ولكن علاقته ساءت بعد ذلك بالخليفة العباسي فقاد يعقوب جيشه إلى بغداد لمحاربته، لكن العباسيين أوقعوا به الهزيمة في عام ٢٦٢هـ/ ٨٧٨م وخلفه أخوه عمرو بن الليث الذي وجه إهتمامه إلى توطيد نفوذه في دولته فوضع نظاماً دقيقاً لمراقبة عماله وقواده ورتب موارد الدولة وعمل على زيادتها ورأى أن يحقق أطماعه في توسيع رقعة بلاده فهاجم الدولة السامانية المجاورة لدولته وإشتبك في معركة ضارية مع الأمير الساماني إسماعيل بن أحمد وهزم عمرو فيها عام٢٨٨/ ٩٠٠م ثم أخذت الدولة الصفارية في الضعف والأنهيار بعد هزيمة عمرو بن الليث ولم يستطيع خلفاؤه من بعده على المحافظة على الدولة، وتمرد عليهم قادتهم، فإنتهز العباسيون الفرصة وإنتزعوا بعض أقاليم الدولة الصفارية، على حين إستولى السامانيون على البقية من أراضي الدولة الصفارية المنهارة.

الدولة السامانية : ٢٦١-٣٨٩ هـ/ ٨٧٤-٩٩٩ م

أقام السامانيون دولة لهم في خراسان وبلاد ما وراء النهر على إنقاض الدولة الصفارية، السامانيون أصحاب نسب عريق، إذ أن جدهم سامان ينسب إلى بهرام جور أحد ملوك الفرس السامانيين.

دخل السامانيون في خدمة خلفاء بني العباسي وعرف الخلفاء إخلاصهم فقدموا عليهم نصر بن أحمد الساماني وأسندوا إليه بلاد ما وراء النهر عام ٢١٦/ ٨٧٤م وجعل نصر من سمرقند عاصمة لدولته ثم إنضمت بخارى إلى

٨٢٠ - ٨٧٢ م نسبة إلى مؤسسها طاهر بن الحسين وهم من أصل فارسى، حصلوا على مكانة سياسية ونفوذ كبير فى خراسان، قام الطاهريون بأدوار هامة فى الصراع بين الأمين والمأمون، إنضم الطاهريون فى صف المأمون وناصروه حتى تغلب على أخيه الأمين ثم عاونوا المأمون على بسط نفوذه على البلاد حتى سادها الهدوء والإستقرار، ولذلك حصل طاهر على مراكز قيادية فى الدولة تقديراً لكفاءته وخدمته للخليفة المأمون ثم عين والياً على خراسان، وبعدها ظهر عدم إخلاصه حين قطع الخطبة للخليفة العباسى وإنفصل عن الدولة فى عام ٨٢٢/٢٠٧ ثم مات بعد ذلك بقليل.

ثم ولى الخليفة المأمون على خراسان طلحة بن طاهر خلفاً لأبيه ثم ولى حكم خراسان بعد وفاة طلحة أخوه عبد الله بن طاهر.

وهكذا قوى نفوذ الأسرة الطاهرية وأصبحت ولاية خراسان وراثية لأبناء طاهر بن الحسين ظلت الأسرة الطاهرية فى حكم ولاية خراسان حتى عام ٢٠٧هـ/٧٢٢م فجعلوا منها إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية وإتخذ الطاهريون نيسابور عاصمة لدولتهم، وقد أعادوا السلم إلى هذه البلاد وقضوا على عناصر الفوضى والإضطراب فيها كما عنوا بتنمية ثروة البلاد الزراعية.

وظل الطاهريون مخلصين للخلفاء العباسيين ويؤدون الجزية السنوية وعاونوهم فى القضاء على حركات التمرد والعصيان التى حدثت ضدهم، وبقى الحكم للدولة الطاهرية حتى وقعت فيها الإضرابات، فإستخبر أهل خراسان بالأمير يعقوب بن الليث إنصفار لإعادة الأمن والطمأنينة إلى لبلاد فزحف الأمير الصفارى إلى ينسابور فى عام ٢٩٥هـ/ ٨٧٢م وإستولى عليها وعلى جميع بلدان دولة الطاهريين وبذلك زالت دولتهم وحلت محلها الدولة الصفارية.

السامانيين عندما إستنجد شعبها بهم فبعث نصر إليهم أخاه إسماعيل الذى تمكن من العمل على استقرار الأحوال فى بخارى وإنتشر الأمن فيها وصارت بخارى تابعة للسامانين.

وفى عهد الأمير أسماعيل السامانى إتسعت رقعة الدولة، فإلى جانب بلاد ما وراء النهر صارت تضم خراسان بعد هزيمة عمرو بن الليث أمام اسماعيل السامانى، وصار إلى السامانيين إقليم أشروسنة وخراسان وطبرستان وبقى للأسرة السامانية الحكم وراثياً ما يربوا على مدى قرن من الزمان نتيجة للنظم الإدارية الدقيقة التى وضعها نصر، بالإضافة إلى ضعف الدولة العباسية حينذاك.

ثم بدأت عوامل الضعف تدب فى أوصال الأسرة السامانية وذلك لضعف أمراء الدولة السامانية وإستبداد القواد والجنود الأتراك بهم ونتج عن ذلك كثرة الثورات الداخلية التى يثيرها الإتراك ثم ظهور أسرات قوية على حدود الدولة السامانية أخذت تهاجمها وتنتقص من أطرافها، مثل قوة البويهيين فى الغرب.

وفى غزنة وهى إحدى المدن السامانية أقام ألب تكين أحد قادة الدولة السامانية إدارة مستقلة فى عام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م ثم خلفه مولاه سبكتكين الذى أعلن الولاء للسامانيين، فإستعانوا به للقضاء على الثورات الداخية، وفى عام ٣٨٣هـ/ ٩٤٤م تمكن سبكتكين من القضاء ثورة خطيرة مكافأه السامانيون بتعيين إبنه محمود لولاية خراسان ثم تطورت الأحوال وصار سبكتكين له السيطرة التامة على جميع الأراضى جنوب نهر جيحون، وفى عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م سقطت بخارى عاصمة السامانيين وإستولى عليها القرخانيون فإنتهت بسقوط بخارى الدولة السامانية فى بلاد ماوراء النهر وظل محمود الغزنوى فى

خراسان حاكماً لها، وكان للدولة السامانية سلطة فعلية قوية مع تبعية إسمية للخليفة العباسي.

وفي عهد الدولة السامانية كانت اللغة الرسمية هى الفارسية وكان جميع شعوب تلك المناطق تتكلم الفارسية، وقد صارت بخارى فى عهدهم من أهم المراكز العلمية الإسلامية، حتى نافست بغداد عاصمة الخلافة وذلك لما كان يقدمه أمراؤهم للعلماء من تعزيز مراكزهم العلمية وتشجيعهم.

كما أن الطبيب الشهير أبا بكر الرازى كان صديقاً للأمير منصور بن إسماعيل الساماني، وأن الأمير نوح بن نصر الساماني دعا الطبيب الفيلسوف إبن سينا لعلاجه، وأن إبن سينا أقام مدة فى بخارى وكان يتردد على دار الكتب بها وفى عهد السامانيين كانت النهضة الحديثة للغة والآداب، ففى بلاطهم ظهر الشاعر الفارسى الكبير «الرودكى» والشاعر الدقيقى الذى نظم لنوح بن نصر منظومة كبيرة عن تاريخ الفرس فى عهودهم الأولى وجعلها فى ألف بيت ولما أتى بعده الفردوسى أكمل ما بدأه الدقيقى ووضع ملحمته الشهيرة «الشاهنامة» والشاعران الدقيقى والفردوسى عاشا فى بلاط السامانيين.

وفى عهد المنصور ترجم وزيره «البلعمى» تاريخ الطبرى إلى اللغة الفارسية، يمتاز العصر الساماني بنهضة فنية رائعة فى العمارة والفنون الأخرى ومن أهم مبانيهم مشهد إسماعيل الذى بناه إسماعيل بين أحمد ثانى أمرائهم فى مدينة بخارى، وهو من أجمل العمائر الإسلامية الفنية.

كذلك نشطت صناعة الخزف فى بلاد ما وراء النهر فى العصر الساماني فكانت مدينة طشقند تنتج أنواعاً فاخرة من الخزف الذى يمتاز ببساطته وجمال ألوانه وإبدا ع زخارفه الفنية الممتازة.

كذلك عرفت مدينة بخارى فى العهد السامانى بإتقان المنسوجات الحريرية ذات الرسوم الحيوانية الجميلة، كما إمتازت سمرقند بصناعة الورق ومن المعروف أن المسلمين فى هذه المدينة أخذوا هذه الصناعة عن الصين ومن سمرقند إنتشرت صناعة الورق فى بقية العالم الإسلامى.

الدولة البويهية ٣٢٠–٤٤٧ هـ/ ٩٣٥–١٠٥٥م

كان البويهيون جنوداً مغامرين إستطاعوا أن يتغلبوا على بعض بلدان فارس بفضل مقدرتهم وكفاءتهم العسكرية، وبنو بويه من الديلم سكان المنطقة الجنوبية من بحر قزوين وقد نبع من أبناء بويه ثلاثة هم على وحسن وأحمد، وقد نجح على حين ولاه مراداويج مقدم الديلم إقليم الكرج (جورجيا) ٣١٨/ ٩٣٠م، ثم بعث على بأخاه الحسن فى جيش إلى إقليم الجبل فضم إليه همذان ويسرى وأصفهان وأخضعها جميعاً لحكمه، ولما إتجه أحمد بن بوية إلى الجنوب وإستولى على شيراز وما حولها، ثم إتجه غرباً وإستولى على إقليم الأهواز (خوزستان) فكاتبه قواد الخليفة العباسى لدخول بغداد فدخلها فى عام ٣٣٤/٩٤٥ فلقبه الخليفة معز الدولة بعدما خلع عليه، ولقب أخاه حسن بركن الدولة وعليا عماد الدولة وعند ذلك إستبد بنو بوية بالحكم فى أيديهم وصار الخليفة العباسى يأتمر بأمرهم إلى أقصى مدى. ولم تكن العلاقة طيبة بين الخليفة العباسى المستكفى بالله وبنى لإعتقادهم أن العباسيين إغتصبوا الخلافة من العلويين، ومع ذلك أبقوا عليهم خلفاء ولم يعزلوهم.

بيما كانت الخلافة الفاطمية فى مصر وهى علوية لقد وثق البويهيون علاقتهم بالفاطميين في مصر وتمت مراسلات بين عضد الدولة بن بويه والخليفة الفاطمى العزيز بالله وإعترف له فيها بإمامته، وأعلن إخلاصه له ومحبته. وقد رد عليه العزيز بالإيجاب والتأييد.

ولكن لم يستمر البويهيون فى فكرة إحلال الخلافة الفاطمية محل الخلافة العباسية لأسباب سياسة، وظل البويهيون يحكمون العراق من شيرازالعاصمه البويهية فى الفرس وظلوا نفس الوقت يتهمون ببغداد اهتماما كبيرا.

ثم بدأت بغداد يضعف شأنها عما كانت عليه من قبل، أما عضد الدولة فقد تمكن من توحيد دولة بنى بوية جميعها تحت سلطانه وبلغت الدولة فى عهده أقصى قوتها حتى أنه لقب شاهنشاه (ملك الملوك) وقد إهتم عضد الدولة بالأدب حتى أن المتنبى كان واحداً ممن إتصلوا به، وله القصائد الكبيرة فى مدحه والتغنى بأمجاده. كما أن إخوان الصفا عاشوا فى عصر البويهية وكتبوا رسائلهم فى عهدهم.

ثم إنقسمت بنى بوية وقامت بينهم الحروب فضعفت حتى تمكن السلاجقة فى عهد طغرل بك من دخول بغداد وقضوا على آخر ملوكهم (أبو النصر خسرو فيروز الملك الرحيم).

الدولة السلجوقية ٤٢٩-٥٨٩ هـ/ ١٠٣٧-١١٩٣م

فى ظل هذه الظروف الصعبة التى تمر بها الدولة العباسية، ظهر عنصر قوى على حدود الدولة، وكانوا الأتراك السلاجقة، والسلاجقة ينتمون إلى قبائل الغز التى قدمت من الشمال إلى مدينة حبذ عند نهر سيحون وإتصلوا بخدمة حكام التركمان فى بلاد ما وراء النهر وقد إعتنق سلجوق زعيم هذه القبائل الإسلام، وصاروا كثرة يعتد بها، ثم حدث أن تواجد محمود الغزنوى الذى عقد حلفا مع أحد خانات التركمان (قادر خان) ولما رأى محمود الغزنوى إنتشار قبائل السلاجقة إنتشارا كبيراً فى بلاد ما وراء النهر خشى على دولته منهم لو أنهم تركوا وشأنهم فدبر الغزنوى صلة للتخلص منهم لكى يخلو له الجو بغير

منافس. وفى عهد مسعود بن محمود الغزنوى قامت حروب كثيرة بين السلاجقة ومسعود الغزنوى كانت أهمها موقعة مرو التى تحقق فيها للسلاجقة النصر بقيادة طغرل بك فى عام ٤٢٩/ ١٠٣٧م ثم إستولي السلاجقة على غالبية خراسان ومهد ذلك لهم الطريق إلى فارس.

وكانت هذه بداية لقيام الدولة السلوجية وصارت مرو عاصمة للسلاجقة بعد إنسحاب مسعود إلى غزته. ثم بدأ السلاجقة بعد ذلك يوسعون أملاكهم غرباً فتمكن إبراهيم السلجون من فتح همذان وإقليم الجبل (العراق العجمى)، ثم إتجه شمالاً فوصل أرمينين وأرخروم وطرا بزون ثم ترك إبراهيم جميع هذه المدائن فرغماً إلى أخيه طغرل بك وقد بلغ بذلك ملك السلاجقة إلى قرب بغداد عاصمة الخلافة.

حدث فى ذلك أن الخليفة العباسى الذى سئم من أحد قواده وهو أرسلان البساسيرى لميوله المناوئة للخليفة إذ أنه خرج عن طاعة العباسيين وإتجه إلى الفاطميين ليخطب بأسمهم فى بغداد، وعندئذ أمر الخليفة العباسى القائم بأن يخطب على منابر بغداد باسم طغرل بك فى عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م وهنا بعث طغرل بك إلى الخليفة يستأذنه فى دخول بغداد فوافق، ودخل طغرل بك بغداد والجميع مرحب به بعدما إستحلفوه للخليفة، وبذلك فقد البويهيون دورهم نهائياً وحل محلهم السلاجقة.

ثم عاد البساسيرى يدبر خطة ثانية لصالح الدولة الفاطمية فى فترة غياب طغرل بك عن بغداد ولكن سرعان مارجع طغرل بك إلى بغداد وقبض على البساسيرى ثم تخلص منه بالقتل، وعادت الأوضاع إلى ماكانت عليه من قبل، ثم مات طغرل بك وولى مكانة ألب أرسلان بعد ما تغلب على سليمان الذى كان

طغرل بك أوصى له بالحكم من بعده، ثم إتجه ألب أرسلان إلي حلب، وحاول حمل محمود بن نصر المرادسى إلى الدخول فى المذهب السنى فلم يوافق ثم إنتهى الأمر بالمصالحة مع الخليفة العباسي القائم.

ثم حارب ألب أرسلان السلجوقى البيزنطيين وهزمهم فى موقعة ملاذكرد عام ٤٦٣/ ١٠٧٠م وهى من المواقع الحاسمة فى التارخ.

ثم تطورت الأحداث ووقع النزاع بين الأمراء السلاجقة الذين لم يكن لهم القوة والشخصية التى إتصف بها من كانوا قبلهم من الحكام السلاجقة الكبار ولما كثر النزاع بينهم زادوا ضعفاً على ضعف حتى إنتهت دولة السلاجقة فى عام ١١٢٨/٥٢٢م بعد ظهور الدولة الخوارزمية.

الدولة الخوارزمية ٤٧٠-٦٢٨هـ/ ١٠٣٧-١٢٣١م

بدأت الدولة الخوارزمية فى الظهور حينما بدأت شمس السلاجقة فى الغروب. وفى عام ٢٢٥/ ١١٥٧ ورثت الدولة الخوارزمية ما كان للدولة السلجوقية من ممتلكات فى فارس وخراسان، وتثبيت ملكهم بعدما قضوا على القوة السلجوقية فى فارس وخراسان، وخطب باسم الخوارزميين على المنابر ثم تم للخوارزميين إخضاع العراق العجمى.

وفى عام ٦١٤/ ١٢١٧ إتجه علاء الدين خوارزم شاه نحو الغرب للسيطرة على العاصمة بغداد خاصة أنه كان قد تحول إلى المذهب الشيعى، وكان هدفه إقامة خلافة علوية لتحل محل الخلافة العباسية وقد حصل على مساندة من رجال دولته قبل البدء فى تنفيذ خطته خشية ظهور معارضة قد تفسد عليه ما أراد.

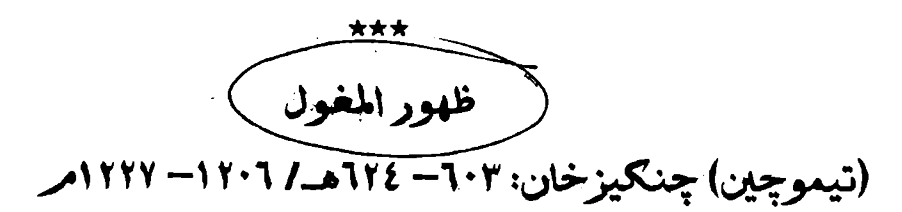
وقد كان الخليفة العباسى الناصر هو الذى عمد إثارة المتاعب أمام

الخوارزميين لرغبته فى التخلص من فرض نفوذهم عليه، وحتى يتمكن من حرية التصرف فى الحكم دون الإعتماد على قوة خارجة عن سلطان الخلفاء العباسيين أنفسهم، وقد علم الخوارزميون بالتحركات العدائية من جانب الخليفة العباسى فعمدوا إلى محاولة الإنتقام منه ولكن لم تسعفهم الظروف لتحقيق أغراضهم.

لقد تمكن الخوارزميون من توسيع رقعة بلادهم على حساب الدولة السلجوقية فى فارس وكان هدف الخوارزميون تكوين دولة عظمى تجمع القوى الإسلامية المبعثرة والتى كانت سبباً فى ضعف المسلمين.

إلا أن الأحداث كانت أسرع إليهم بعد ظهور المغول، لقد دفع خوف دولتى المغول والخوارزميين كل دولة من الأخرى تحول حالة العلاقة الطيبة بعلاقات عدائية، ولم تشأ الحوادث أن تمهل الدولة الخوارزمية طويلاً فسرعان ما ظهر الخطر المغولى ماثلاً للعيان فلم يستطع «علاء الدين خوارزم شاه» أن ينصرف إلى شئون دولته الداخلية، إذ ما كاد يستقر على عرش مملكته بعد مجهود حربى عنيف حتى إتضح له أن دولته مهددة بالزوال فلم ينعم بثمرة إنتصاراته.

***



ظهور المغول

(تيموجين) جنكيزخان: ٦٠٣– ٦٢٤هـ/ ١٢٠٦– ١٢٢٧م

لم تبدأ قبائل المغول تاريخها إلا حين جمع شملها أحد زعمائها المعروف بإسم جنكيزخان، وكان يطلق على هذا الزعيم وهو طفل تيموجين، أى الصلب المتين، إستطاع الشاب تيموجين بدهائه وذكائه أن يوحد كل القبائل المغولية فى ذلك الوقت فى شرق آسيا، فقد جعل سياسته الإستعانة بالقبيلة ضد الأخرى ويتحالف مع القوى على الضعيف فيهزمه، ثم تربع تيموجين على عرش المغول فى

عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م وسمى نفسه جنكيزخان (أعظم الحكام) وإتخذ بعد ذلك مدينة «قرة قورم» عاصمة لدولة المغول.

بعد أن إنتصر جنكيزخان على قبائل التتر الذين يسكنون فى إقليم منجوريا وشمالى شرق منغوليا، وعلى قبائل النيمان، ثم وحد منغوليا بأكملها، وأنشأ جيشاً بلغ تعداده عشرة ألاف رجل وجعل ألف رجل منهم حرساً خاصاً له.

وبعد أن تجمعت القبائل المغولية فى شرق آسيا تحت سيطرة چنكيزخان، بدأ الخطر المغولى يظهر للدولة الإسلامية فى غرب آسيا، على أنه عندما أخضع قبائل النيمان فر (كشلو) خان هذه القبيلة إلى دولة الخطا فى الغرب فساعدته الخطا على إعادة فلول قواته التى هزمت فى معاركها مع المغول، ثم تمكن كشلو بعد الدسائس والفتن أن يكون لنفسه قوة تمكن بها من الإستيلاء على عرش الخطا.

ثم بدأ كشلو يقوى نفوذه ويخضع عدداً كبيراً من قبائل المغول ثم وسع من مساحة دولته حتى شملت الأقاليم الممتدة من بلاد التبت فصار مجاوراً للدولة الخوارزمية، ولما حاول ضم بعض المدن الثائرة ومنها كاشغر وختوتان أغضب منه الأهالى فى هذه المدن حيث ظهرت المجاعات بسبب سياسته غير العادلة، فلم يهتم بالأحوال الإقتصادية فى البلاد، فضلاً عن تدخله هو وزوجته فى عقيدة الأهالى وقد كان هو بوذياً بينما زوجه مسيحية، على حساب الأهالى المسلمين.

ثم دب الخلاف بين كشلو وبين الدولة الخوارزمية بسبب إدعاء علاء الدين خوارزم شاه فى مساعدته فى حروبه السابقة حتى إستولى على عرش دولة الخطا، ولم يهتم كشلو بالرد على الخوارزميين لإنشغاله بحروبه مع چنكيزخان الذى بدأ يندفع فى حروبه مع دولة الخطا.

عقد المغول عزمهم على تحقيق نصر على كشلوخان وإخضاعه لسلطانهم، وفى عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م إتجه القائد المغولى شبى على رأس عشرين ألف مقاتل وعمد إلى إثارة الشعور الدينى عند السكان بسبب تدخل كشلو فى حريتهم الدينية فانضم الأهالى إلى المغول وثاروا ضد حكامهم حتى إستعادوا حريتهم الدينية، وسقط كشلو فى الأسر وبعثوا برأسه إلى قرة قورم.

وكان نتيجة هذا الإنتصار أن إنضمت إلى المغول جميع القبائل التركية، وعلا نجم چنكيزخان المغولى.

★★★

چنكيزخان والموقف الدولى

نشأت دولة المغول وإعتمدت على القوة العسكرية وحدها، فهم قد بسطوا سلطانهم على دولة الخطا، وبعدها صاروا هم والدولة الخوارزمية متجاورين ولم يكن بينهما غير علاقة حذر وتربص، فكل منهما يتحين فرصة الإنقضاض على الأخر، وقامت بينهما معارك حربية محدودة عقب إحتلال المغول لدولة الخطا.

ثم قامت إتصالات بينهما أدت إلى عقد معاهدة صداقة وقيام علاقات تجارية بين الطرفين، على أن خوارزم شاه لم يكن راضياً عن هذه المعاهدة لكن الظروف أرغمته على قبولها، فقد شغلته مشاكله مع الخلافة العباسية فى بغداد.

وفى عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م بعث المغول إلى الخوارزميين فى بخارى ثلاثة من تجار المسلمين من أتباع چنكيزخان وحملهم هدايا كثيرة من بلاد آسيا الوسطى مع رسالة من القائد المغولى إلى علاء الدين خوارزم شاه يرغب فى تنمية العلاقات الودية بين الدولتين ولكنه أظهر منها ما يدل عى أن المغول يتعالون على الخوارزمين ويكشفون عن غطرستهم وإظهار قوتهم عليهم.

وعلى الرغم من شعور علاء الدين بالغضب من محتوى رسالة جنكيزخان إليه وهو صاحب سلطان بين الحكام المسلمين فى أنحاء كثيرة فى الشرق والغرب إلا أنه تريث فى الرد، وعمد إلى محادثة محمود الخوارزمى وهو أحد التجار الثلاثة الذين حضروا كسفراء للزعيم المغولى جنكيزخان وطلب منه أن يكون عوناً له لدى الأخريين، وقدم له هدية ثمينة كعربون صداقة بينهما، وقد أبدى محمود الخوارزمى إستجابة لما كلفه به علاء الدين خاصة أنه لمس منه السخط الشديد على المغول لغطرستهم التى كشفت عنها رسالتهم إليه، كما أنه لم يبلغه حقيقة قوة جنكيزخان العسكرية وفضل السكوت بل وبتقليل شأنها خشية أن يضايق السلطان علاء الدين فيبطش به، ولما تأكد للسلطان علاء الدين حقيقة قوة المغول العسكرية، وبدأ فى تنفيذ إقامة العلاقة التجارية مع المغول، نشطت التجارة بين دول وسط آسيا وعمل المغول على نشر الأمن فى الطرق التجارية وكلف جنكيزخان الحراس بالضرب على أيدى المعتدين من اللصوص وقطاع الطرق.

ثم قام تجار مسلمون من بخارى بتجارة معهم ووصلوا بها إلى ناحية المغول فى أقصى الشرق، فرغبهم الحراس المغول فى الدخول فى بلاط القائد المغولى جنكيزخان وفى البلاط المغولى قدم أحمد – وهو أحد التجار القادمين من بخارى – ما معه من ثياب مذهبة من الكرباسى (الثوب الخشن) وعرضه على الخان المغولى، وطلب ثمناً لبضاعته ما يفوق ثمنه الفعلى بكثير، مما أوغر صدر جنكيزخان عليه وصادر بضاعته وحبسه، ولما تقدم التاجران الأخران، أبديا سعادتهما لمقابلة الخان وقالا أن ما معهما هدية للخان، فما كان من الخان إلا أن أظهر منتهى عطفه عليها وقدم إليهما من الذهب والفضة ما يبلغا به غاية الفرح ثم أحضر التاجر الأول من سجنه وأعلن الصفح عنه، وبقى التجار الثلاثة فى

أرض المغول مدة لقوا خلالها أحسن معاملة، ثم رغبوا فى الرحيل إلى بلادهم، فأمر الخان بتزويدهم بجماعة من الحرس المغولى لحمايتهم، وبعث معهم بعض السلع المغولية على أن يبيعوها فى غرب آسيا ويشتروا منها ما يحتاجون إليه، وبعث برسول مغولى يحمل معه رسالة إلى علاء الدين خوارزم شاه يرغبه فى معاملة البعثة المغولية بالحسنى حيث أنهم تجار مغول، وقد عومل تجار علاء الدين بالحسنى ويرجون الخان أن تكون معاملة رعاياه من التجار بالمثل.

وإتجهت بعثة الخان الأعظم الى دولة خوارزم وإستقرار فى مدينة إترار على نهر سيمون، مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها، وكان حاكم المدينة آنذاك "ينال خان " ابن خال السلطان علاء الدين.

شك أمير المدينة فى هذه البعثة التى وصل عدد أفرادها وحراسها خمسمائه رجل، فبعث إلي خوارزم شاه يبلغه بأخبارها ويأمر برأيه فيهم وطلب خوارزم مراقبه هذه البعثه حتي حين ثم بعث بمصادره أموالهم وتسليمها إليه، وقتل جميع أفرادها وبيعت السلع لتجار بخاري وسمرقند، ومن المرجح أن القافله كانت تجمع بين أفرادها رجالاً للتجسس لا لأعمال التجارة والبيع والشراء فقد بلغ عدد العسكريين فيها رقماً يدعوا للشك فى أمر هذه البعثة.

وهكذا لقى جميع أفرادها ما يلقى الجواسيس والخونة وهو الإعدام، على أن وقع الخبر على چنكيزخان عندما وصله كان صدمة جعلته يغيب النوم عن عينيه، ثم جاءته غفوة من النوم رأى فيها رؤيا (١).

(١) روى أن چنكيزخان إتجه إلى قمة تل ورفع رأسه ودعى الله أن ينصره على عدوه الخوارزمى، وظل على هذا الحال ثلاث أيام صام خلالها عن الطعم ثم غفل وحلم فى رؤية رأ ما حيث ظهر له راهب فى ثوب أسود ويمسك بيده عصى، قال له : «لا تخف أنفعل ما شئت فإنك مؤيد». (ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول ص ٤٠١).

فلما أستيقظ چنكيزخان من نومه، وذهب إلى بيته فرحاً بما رآه مع شئ من الخوف، ولما حضر إلى الخان أحد الأساقفة بشره بالخير والسعادة، وكان چنكيزخان قد تماسكت أعصابه وتروى فى الأمر ورأى أن يأخذ مع السلطان علاء الدين طريق الدبلوماسية الهادئة، فبعث إليه بعثة من ثلاثة أفراد أولهم رجل من المسلمين يسمى «ابن كفرج» وهو أحد رجال السلطان تكش والأثنين الآخرين من المغول حمل إليه ابن كفرج رسالة من چنكيزخان يهدد فيها ويتوعد ويأمر بتسليم حاكم أترار بسبب ما حدث منه من إعتداء على البعثة التجارية المغولية بغير حق فقد كانوا مسالمين.

إلا أنه لم يكن فى إستطاعة علاء الدين أن يفعل ذلك لما كان له ينال حاكم أترار من مكانه بين كبار رجال الدولة ومن رجال الجيش أنفسهم، فلم يكن أمام علاء الدين إلا قتل رجال البعثة المغولية فى عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م.

***

الدول الإسلامية فى شرق وغرب آسيا بعد ظهور چنكيزخان

قامت الدولة العباسية والظاهرة المميزة لها هى الإسلام، وكانت تمثل كل الشعوب الخاضعة لها، وتتيح لهم المشاركة فى شئون الحكم والإدارة، ونواحى الحياة المختلفة ولم يكن العرب فى العصر العباسى إلا شعباً من الشعوب الكثيرة التى تكون الدولة ولم تعد الخلافة فى العصر العباسى دولة واحدة يخضع لها جميع الأطراف البعيدة عن العاصمة بغداد فمنذ السنوات الأولى فى الأندلس وشمال أفريقيا وعمان والسند وحتى خراسان دولا لا تعترف بالخليفة العباسى

إعترافاً كاملاً، وولاء مصر كان ولاء إسمياً أكثر منه فعلياً، ومدينة واسط العاصمة الأموية فى العراق ظلت تقاوم أحد عشر شهراً، والشام لبث فى إضطراب مستمر من أهم عوامله إضطهاد العباسيين المستمر لأفراد الشعب الأموى، والشوام يعتبرون الدولة الأموية دولتهم وأمجادها أمجادهم.

وفى الشرق تقدمت جيوش المنصور وإستولت على قندهار على حدود الهند ثم وصلوا إلى كشمير وأخضعوا القبائل المستقرة فى طبرستان جنوب بحر الخزر ولأن الأتراك عنصر حربى ممتاز عرف بالقوة الجسمية والمهارة في فنون القتال والفروسية، سمح لهم العرب منذ أول الأمر بالمشاركة فى الدفاع عن بلادهم.

ثم قامت الدولة العباسية وعملت على المساواة بين العرب وبين الشعوب المختلفة ومن بينها الترك وخطت خطوة أخرى فأشركت هؤلاء الترك فى جيش الدولة الأساسى فجلبت أعداداً كبيرة منهم وإستخدمتهم جنوداً فى حين أنها لم تتح الفرصة للعناصر الأخرى كالفرس أو النبط أو المصريين وذلك، لما إمتاز به الترك من مقدرة حربية، ولأن الترك عند إستخدامهم فى جيش الدولة كانوا كالغرباء لا يجدون لهم عصبية خاصة توازرهم وتدفعهم أو يدفعونها إلى الإستقلال عن الدولة.

وأول من أكثر من الترك فى الجيش العباسى المأمون ثم ولى المعتصم فجعلهم عصبته حتى صار جيشه كله تقريباً من الترك، وقد بدأ العصر العباسى الثانى بعام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م وذلك فى حين أصبح أكبر قواد الجيش المسيطرون على شؤن الدولة عامة من الترك.

عملت الدولة العباسية على المساواة بين العرب وبين الشعوب المختلفة، وقد أيقظت هذه السياسة الروح القومية وفى الأطراف بدأت الحركات الإنفصالية، وإنتهت هذه الحركات فى العصر العباسى الثانى بإستقلال هذه الأطراف وقيام دول مستقلة (منقطعة) وهى لم تستقل عن الخلافة العباسية إلا داخلياً حيث كان ولاتها أحراراً فى إدارة الدولة وتصريف شؤنها الداخلية مع تحويل مبلغاً من المال محدداً يرسل إلى الخلافة العباسية وفى نفس الوقت كان لكل دولة جيشها الخاص بها، وبقيت السيادة الكبرى حقاً للخليفة العباسى حتى أن كل وال جعل كل همه عند ولايته صدور الأمر بتوليته من الخليفة نفسه، وإحتفظ الخليفة لنفسه بأن يخطب بأسمه على المنابر وتضرب السكة بإسمه وفى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى ضعف شأن الدولة العباسية وإنفصلت عن أطرافها شرقاً وغرباً وقامت فى تلك الأطراف المنفصلة دول مستقلة وظهرت فى هذا القرن الدولة الفاطمية الشيعية التى إستقلت بمصر والمغرب إستقلالاً تاماً ثم ضمت إليها الشام والحجاز واليمن وكلها كانت تحت سلطان العباسيين.

وحتى فى بغداد نفسها عاصمة الخلافة العباسية فقد الخليفة كل سلطاته، وإنتقل هذا السلطان إلى أيدى بنى بويه وهم أسرة شيعية، وهكذا تشتت الملك الإسلامى بعد ما كان يكون دولة قوية موحدة فى العصر الأموى، وفى العصر العباسى الأول إلى حد كبير، وإنتهزت الدولة البيزنطية فرصة هذا الضعف الشامل وهذا الإنقسام والتفكك بين الدول الإسلامية، وأخذت تغير على حدود الدولة العباسية، ولذلك ظهرت الدولة العباسية فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس فى حالة واضحة من الضعف وكأنها مثل المريض الذى يحتاج إلى دم جديد فيه قوة البداوة وعنفوانها، وهذا هو الدم التركى الذى ظهر على الحدود القصوى من الدولة الإسلامية.

لقد ظهر الأتراك السلاجقة، والسلاجقة قبائل تركية ينتسبون إلى سلجوق وسمون إلى قبيلة كبيرة من قبائل الترك هم الغز، وقد نزلت هذه القبائل أول ما نزلت في مدينة «حبذ» عند نهر سيمون وإتصلوا بخدمة خانات التركمان في بلاد ما وراء النهر، وتبدو أهمية هذه القبائل منذ إعتنق زعيمها سلجوق الدين الإسلامي بعد نزولهم في حيذ.

وعند ظهور السلاجقة كانت الدول القائمة بالحكم في العالم الإسلامي هي:-

في بغداد عاصمة الخلافة وفي العراق وفارس كانت تقوم الدولة البويهية وفي خراسان كانت تقوم السامانية وكانتما هاتان الدولتان تسيران إلى الضعف والإنحلال، وفي جزء كبير من ملك السامانيين في خراسان وغزنه كان يقوم في ذلك الوقت من قبل السامانيين محمود بن سبكتكين ٣٨٨-٤٢١هـ/ ٩٨٨- ١٠٣٠م الذي لم يلبث أن إستقل بهذه الأجزاء وكون دوله جديدة مستقلة إستقلالاً داخلياً هي الدولة الغزنوية، وقد خطب محمود بعد إستقلاله للخليفة القادر، فاعترف بولايته وخلع عليه ولقبه يمين الدولة.

فالعالم الإسلامي المجاور كان يقوم فيه وقت ظهور سلجوق وقبيلته دولتان ضعيفتان : السامانية والبويهية ودولة قوية ناشئة هي الدولة الغزنوية وفي عام ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م خرج محمود الغزنوي في غزاة إلى بلاد ما وراء النهر وهناك تقابل مع أحد خانات التركمان (قادر خان) وعقد معه حلفاً غير أنه لاحظ أثناء وجوده هناك أن الأتراك السلاجقة ينتشرون في هذه المنطقة إنتشار الجراد وقدر ما سيكون عليه من خطر على ملكه لو تركوا وشأنهم، فوضع خطة لإضعاف قوتهم فقد عمل على تدبير حيله تمكن بها من إستمالة أرسلان بن سجلوق وسار

به إلى غزنه وفيها قبض عليه وسجنه، وكلف أمراء السلاجقة بعبور نهر جيحون وفرقهم فى خراسان وأذربيجان، وقامت بسبب ذلك حروب بين الطرفين أضعفت كليهما، إلا أن السلاجقة بقيادة طغرل بك تمكنوا من تحقيق نصر على جيوش مسعود فى عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م وبالتالي فقد تراجع مسعود إلى غزنه وإستولى السلاجقة على معظم مدن خراسان وفتح لهم الطريق إلى بلاد فارس.

وهكذا ساعدت الظروف على قيام دولة السلاجقة الذين إتخذوا مرو عاصمة لهم، ثم تمكن السلاجقة بقيادة طغرل بك من توسيع أملاكهم غرباً فى همزان وإقيلم الجبل (العراق العجمى) ثم شمالاً إلى أرمينية وأرضروم وطرابزون وهكذا إتسع ملك السلاجقة حتى قرب من أبواب بغداد.

كانت الخلافة العباسية فى ذلك الوقت تعانى من خطر داخلى وهو أن أبا الحارس أرسلان البساسيرى أحد القائم وإستولى على السلطة فى بغداد، وكاتب الخليفة الفاطمى فى مصر يعرض عليه الخطبة له فى بغداد، وهنا أدرك الخليفة العباسى القائم مدى الخطر المحدق به فلجأ إلى طغرل بك وعرض عليه الخطبة بأسمه فى بغداد فى عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م وأذن له بالدخول إلى بغداد، وهكذا إنتهى أمر الدولة البويهية وحلت محلها الدولة السلجوقية ثم تولى عرش السلاجقة بعد موت طغرل بك ألب أرسلان الذى كانت أهم حروبه موقعه ملاذكرد مع البيزنطيين التى أسر فيها الأمبراطور البيزنطى فى عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م.

وقد مهدت هذه الموقعة الطريق لتوغل السلاجقة في آسيا الصغرى على حساب الدولة الرومانية الشرقية حتى إمتدت الدولة السلجوقية إلى بحر مرمرة. ثم تمكن ملك شاه من أن يخضع سوريا وجورجيا فى الغرب وبخارى وسمرقند وخوارزم فى الشرق لنفوذ السلاجقة، لقد كان للسلاجقة فضل إزالة الدويلات

الصغيرة القائمة فى ذلك الوقت وشكلوا عالماً جديداً موحداً يخضع لحاكم واحد أزاح البيزنطيين إلى الخلف، وكونوا جماعة من المقاتلين المسلمين حققوا النصر على الصليبين مما رفع قدر السلاجقة فى العالم الإسلامى.

على أن سلطان العباسيين بقى على ما كان عليه أيام البويهيين، فإن السلطة قد إنتقلت إلى أيدى السلاجقة الذين لم يفعلوا شيئاً لشد أزر العباسيين.

على أن الخلفاء العباسيين لم يقبلوا بسلب سلطانهم منهم وأنما هم حاولوا إسترداد نفوذهم. ففى أيام الخليفة المسترشد ٥١٢-٥٢٩ هـ/ ١١١٨-١١٣٥م أخذ العباسيون يعملون على إسترداد ما كان لهم من نفوذ خاصة وقد أضعف السلاجقة، فقام المسترشد العباسى بمحاربة السلطان محمود السلجوقى فى عام ١١٢٦/٥٢٠ وواصل العباسيون صراعهم حتى نجحوا فى القضاء على نفوذ السلاجقة فى العراق نهائياً بالقضاء على طغرل بك آخر سلاجقة العراق فى عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وقد ساعد على ضعف السلاجقة ظهور الخلافات الداخلية بين أفرادها، والعداء القائم مع طائفة الإسماعيلية الشيعة، وإنتشار الحركات الإنفصالية بين دول الأتابكة مما أدى إلى حالة ضعف عام فى العالم الإسلامى عامة خاصة بعد قيام الحروب الصليبية وظهور الدولة الخوارزمية القوية التى أخذت تضعف من نفوذ السلاجقة فى سبيل الإحلال محلها.

خلف السلطان ملكشاه دولة كبرى إلا أن خلفاءه لم يتمكنوا من المحافظة عليها نتيجة خلافاتهم ونزاعاتهم فى حروب داخلية إلى أن تفككت فى كافة الإنحاء فى فارس والعراق وفى بلاد الشام، فساعد على تقوية إجتماع الأعداء المتربصين، العمل على الإغتصاب والتعدى على الممتلكات الإسلامية.

كما أن الطائفة الإسماعيلية شرعت بعد أن قامت الدولة الفاطمية فى مصر فى نشر المذهب الشيعى فى أرض المشرق لإضعاف الدولة العباسية السنية.

ولما حدث إنقسام بين الإسماعيلين لجأت الفرق التى يتزعمها الحسن الصباح إلى أرض المشرق وعمدت إلى تقوية المذهب الذى نادى به هو، وهو بذلك قد تسبب فى زيادة ضعف المجتمع الإسلامى وتقوية الإنقسام مذهبياً وعنصرياً فمن النزاع بين الترك والفرس والعرب وبين السنه والشيعه، فى الوقت الذى تبعث به الدعوة الشيعية في القاهرة بالدعاة إلى بلاد فارس مما كان يقوى من طائفة الشيعه، وقد تمكن الحسن الصباح من تقوية جماعته بحيث صارت قوة يرهبها الجميع.

ومن أسباب نجاح دعوة الحسن الصباح أن السلطان السلجوقى ألب أرسلان كان قد ألغى نظام البريد فأضعف ذلك من متابعة ما يحدث فى الدولة فى الوقت المناسب، وقد جعل الحسن الصباح من قلعة ألموت مقراً رئيسياً يعمل منه على نشر المذهب الشيعى النزارى نسبة إلى نزار بن المستنصر الفاطمىّ.

ثم أخذ الحسن الصباح يستولى على كثير من البلاد والبقاع المجاورة قوهستان وخوزستان مستخدما مختلف الأساليب فى سبيل تنفيذ أغراضه وأكثر من بناء القلاع فى قمم الجبال وصار يهدد الدول الإسلامية فى غرب آسيا، وإستخدم فى سبيل تحقيق أهدافه القتل والإرهاب ومنها إسقاط الخلافة العباسية وعاونه فى خططه هذه الجماعة الفدائية المختارة من الشباب المتحمس الذى لا يتردد الفرد منهم فى التضحية بنفسه حيث أن طاعتهم عمياء، ومن يخرج عن طاعة شيخه يعد مرتداً فصار هؤلاء الفدائيين من الشيعه النزارية أداة إنتقام فى يد الحسن الصباح، حتى بلغت قوة نفوذهم فى أرض المشرق حداً ملأ قلوب الناس بالرعب، خاصة أنهم من ذوى المهارات العالية وفنون التخفى وإستعمال السلاح ومعرفة اللغات وكانوا يرتكبون جرائمهم فى القتل فى داخل

الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين دون رادع يصدهم عما يفعلون.

على أن جماعة الإسماعيلية قد بلغت أقصى مداها فى التمادى فى أفعالهم الشنيعة بعد وفاة السلطان ملكشاه السلجوقى وأبناءه من بعده.

ولما إشتد الخلاف بين الخلفاء العباسيين والحكام السلاجقة لجأ السلاجقة إلى الإستعانة بالإسماعيلية للتخلص من الخلفاء المناوئين لهم، وكذلك عمد الشيعة إلى إثارة الذعر والرعب في قلوب المسلمين، فكانوا يغيرون على المدن القريبة من قلاعهم فى قوهستان ويقومون بأعمال السلب والنهب وأسر الأطفال ويهاجمون التجار والحجاج كما لو كانوا قطاع طرق.

ولما هزمت الدولة السلجوقية وضاع سلطانها من بلاد المشرق بعد وفاة السلطان سنجر عام ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م قامت الدولة الخوارزمية لتحل محلها، ولكنها سارت على خطة العداء لطائفة الحسن الصباح، وأخذت الإسماعيلية تبادل الخوارزميين بالعداء والحرب، حتى أنهم عملوا على التقرب إلى المغول الذين أخذوا فى الظهور كقوة يحسب الجميع حسابها.

وكذلك فعل الخليفة العباسي الناصر خاصة بعدما أحس بعداء علاء الدين خوارزم شاه للعباسيين بعدما تحول إلى المذهب الشيعى، وهكذا فإن الطائفة الإسماعيلية وسياسة الناصر العباسى هى التى أضعفت دولة السلاجقة ومن بعدها الدولة الخوارزمية بل والشرق الإسلامى بصفة عامة.

الفصل الثالث

الموقف العربى أرض الشام وغيرها

* الغزو المغولى للبلاد الإسلامية
* المغول فى الإقليم الغربى للدولة الخوارزمية
* المغول فى أوربا الشرقية
* المغول فى خراسان
* المغول فى غزنة




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثالث

الموقف العربى أرض الشام

وقف الشام فى العهد العباسى ضد الدولة العباسية فى محاولة الأحياء مجد الإسلام القديم (الأموى) مما أضعف ثقة الخلفاء بالعرب، وصاروا يعتمدون على العنصر الفارسى الذى إتخذوه جنداً بخراسان وبغداد أكثر من إعتمادهم على العنصر العربى فى القضاء على الفتن والثورات التى كانت تهيجها العصبيات العربية فى الشام وفى غيرها، ثم ضعف أمر العرب وأصبحوا لا يتحمسون للقتال تحمس الفرس فبلغ سلطان الفرس غايته وقويت شوكتهم فأوقع بهم الخلفاء وصادروا أموالهم.

ثم حاول العباسيون التخلص من نفوذ الفرس بآخرين غيرهم، فأدخلوا الأتراك، والبربر والصقالبة، فإستبد هؤلاء بالسلطة وخاصة الأتراك حتى صاروا أصحاب النفوذ فى الدولة العباسية ومنذ أن بدأ يضعف الحكم العباسى، فإنه حدث شبه تقارب وإندماج ما بين العصبتين ظهر على الخصوص فى العصر العباسى الثانى ٢٣٢-٦٥٦هـ/ ٨٤٧-١٢٥٨م وذلك أنه مع هذا النفوذ التركى والنفوذ الفارسى كان للنفوذ العربى، وخاصة فى الشام قوة لايستهان بها، فالعرب وكانت لهم المناصب العليا فى العصر الأموى وتقلصت فى العصر العباسى إلى حد ما.

ومن قبل تمكن الفرس فى عهد الدولة العباسية من الخلفاء العباسيين ويسطوا نفوذهم فى كل ناحية وصقع وبلغ سلطانهم الغاية، عندئذ أحس العرب بضعف سلطانهم فظهر شبه تقارب بين العصبيتين فى بلاد الشام الأولى الحمدانية، وكان الحمدانيون فى حلب (يرون رأى الشيعه) ولذلك كثر التشيع فى

بلاد الشام على عهدهم وكانت حمص أكثر أهلها شيعه وأيضاً عمان، فالعرب الذين هاجروا إلي الشام والعراق فى أوائل القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى من الجزيرة العربية ومن الخليج شكلوا فى العصر العباسى قوة سياسية كان لها عند الخلفاء شأن كبير، فقد صاروا قوة لا يستهان بها فى فترة ضعف الخلافة العباسية في بغداد، فأقام بنوحمدان - من بنى تغلب - الدولة الحمدانية فى الموصل ٣١٧-٣٩٤ هـ/ ٩٢٩-١٠٠٣م. ثم فى حلب ٣٣٣-٣٩٤ هـ/ ٩٤٤-١٠٠٣م وأقام بنوكلاب الدولة المرداسية فى حلب ٤١٤-٤٧٢هـ/ ١٠٢٣-١٠٧٩م. وأقام بنوعقيل دولتهمفى ديار بكر والجزيرة بالعراق ٣٨٦-٤٨٩هـ/ ٩٩٦-١٠٩٥م.

وتعد الدولة الحمدانية أهم هذه الدول، فقد جمعت شمل العرب فى بلاد الشام، وقاومت بهم العصبيات التركية والفارسية، وإشتبكت مع هذه العصبيات وعملت على طرد النفوذ التركى والفارسي من بغداد والشام وحاربت فى سبيل إستعادة النفوذ العربى فى الشام وبغداد حتى أن الخليفة المتقى بالله ٣٢٩-٣٣٣هـ / ٩٤٠-٩٤٤م قلد ناصر الدولة بن حمدان عام ٩٤١/٣٣٠ إمرة الأمراء وخلع عليه هو وأخيه بن حمدان وتمكن ناصر الدولة بن حمدان من دخول بغداد عام ٩٤١/٣٣٠ فى إحتفال مهيب، إلا أن ثورة الأتراك بزعامة توزون تغلبت على إبن حمدان وإستمر الصراع بين العرب والترك، بينما عقد صلح بين العرب والفرس وذلك بعد تدخل سيف الدولة فى الصلح بين أخيه ناصر الدولة ومعز الدولة البويهى - وهم من عنصر فارسى - التى كانت سيطرت فى إيران ودقت أبواب الحجاز وسيطرت على الخلافة العباسية وأعادت هيمنة الفرس من جديد عليها ولما تمكن البويهيون من بغداد وقاومهم العرب فى بلاد الجزيرة والعراق

وحاربوهم ولكن تغلب البويهيون على العرب وإمتدت سيطرتهم على دمشق عندما إستولى عليها «إفتكين» مولى معز الدولة بن بويه.

«وإفتكين» ولو أنه لم يكن فارسياً ولكنه تركى إلا أنه كان عوناً للفرس فى الشام وقطع منها الخطبة للمعز، حيث كانت الشام مسرحاً للتنافس بين الفاطميين الذين نشأوا فى المغرب ونقلوا خلافتهم إلى مصر، وبين الخلافة العباسية التى سيطر عليها البويهيون، وخطب لخليفة بغداد عام ٣٦٠٤هـ/ ٩٧٤م ثم إستردها الفاطميون من البويهيين وقبض على أفتكين وأرسل إلى مصر.

ولعل عرب الشام كانوا عنصر تأييد بالنسبة لأفتكين بإعتبارها أن أهل الشام سنه فى غالبيتهم وأن الفاطميين الذين وجدوا فى مصر كانوا يطمعون فوجدوا فى أفتكين من يحميهم.

لقد إمتاز بنى حمدان بعصبته العربية ضد الترك والفرس وضد الروم، فقد قاتل سيف الدولة إبن حمدان الروم وصدهم عن بلاد الشام وحمى الثغور حتى بلغت غزواته للروم أربعين غزوة، ولولاه لإستولى الروم على الشام فى غفلة من العباسيين، مما يدل على أن العصبية قلت بين عرب الشام وأصبحوا يتميزون ضد أعدائهم بما فيهم العدو الأكبر وهو الروم.

على أن نجاح هذه القبائل العربية فى تأسيس دولة فى شمال الشام كان نقله كبيرة فى حياة تلك القبائل العربية وتجربة رائدة فى تاريخها.

كما كانت تحركات تلك القبائل العربية في الشام بقيادة ناصر الدولة بن حمدان وأخيه سيف الدولة تتم بتأييد من الخليفة العباسى المتقى بالله الذى أعجب بشجاعتهما وتمكنهما من القضاء على معارضة مثل ابن رائق زعيم

الاتراك الذى بعثة الخليفه العباس المتقى بالله لينقذ الشام ومصر من الأخشيد محمد بن طغج فعصا إبن رائق الشام. وحاول أن يقيم لنفسه دولة بها فحاربه الحمدانيون وقتلوه فى عام ٣٣٠هـ/ ١٤٩م وإستولى سيف الدولة على حلب عام ٣٣٣ / ٩٤٣ وأقام الخطبة للخليفة العباسى المستكفى بالله ٣٣٣-٣٣٤هـ / ٩٤٤-٩٤٥م ولأخيه ناصر الدولة أمير الموصل ولنفسه وخلع المستكفى على سيف الدولة.

وكانت تحركات تلك القبائل العربية فى بلاد الشام وإصطدامها بالسلطات المحلية، مثل إبن رائق والإخشيد سبباً فى إنزعاج هؤلاء الحكام ولكن لم يكن فى إمكانهم وقف هذا التحرك القبلى الذى يتجه إلى التجمع الوحدوى منذ بدأ سيف الدولة يعمل على ضم القبائل العربية فى الشام فى صفه وإستطاع جذب كثير من بطون القبائل العربية وعشائرها من بنى عقيل.

وبنى عقيل هؤلاء من قيس عرب الشمال وأصلهم من البحرين، خرجوا إلى العراق وملكوا الكوفه والجزيرة والموصل بالعراق وحلب فى شمال الشام ثم إنتزعها منهم السلاجقة عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م.

وبنى نمير وبنى كلب وبنى كلاب وكانوا جميعهم كالرعايا لبنى حمدان وجنوداً لهم في الحروب حتى صار للعرب كيانهم السياسى وطابعهم العربى المميز إزاء العناصر التركية مثل الإخشيد، وواصل سيف الدولة حمرو به ضد الإخشديين حتى إنتهى إلى صلح معهم تقرر فيه أن حلب وحمص وبعض أنطاكيه هى لسيف الدولة، وكان من نتائج هذا الصلح أن ساد الصفاء بين الحمدانيين والأخشديين، وهدأت الفتنة وأستقامت الطرق وهذا الإندماج الذى حدث بين القبائل العربية فى الشام حتى صارت لهم دولة بفضل إتحاد العصبيات العربية

تحت راية بنى حمدان إبان ضعف العباسيين وحتى العصر الفاطمى، فظهر الحلف العربى بين قبائل بنى طئ وبنى كلاب وبنى كلب عام ٤١٤/ ١٠٢٣ وقد تحالف أمراء هذه القبائل العربية على إقتسام البلاد الشامية فيما بينهم.

ولما أدرك الفاطميون خطورة هذا الحلف على ممتلكاتهم فى الشام أعدوا جيشاً كبيراً بقيادة أنوشتكين الدزبرى عام ٤٢٠هـ/ ١٠٢٨م للقضاء على هذا التحالف العربى الشامى، وكان الفاطميون يعتمدون على المغاربة فى مواجهتهم لمنافسيهم وتمكنوا فعلاً من إلحاق الهزيمة بقبائل الشام المتحالفة.

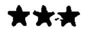
لكن نصر بن صالح بن مرادس الذى قتل أبوه صالح بن مرادس فى المعركة عام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م سار إلى حلب وتمكن من الإستيلاء عليها وأقام الدولة المرادسية وهذه هى المحاولة الثانية بعد المحاولة الحمدانية للقبائل الشامية ونفوذها الذى تغلغل فى بلاد الشام لعودة الحكم العربى الخاص والإستقلال الذاتى لها، ولبنى مرادس دور طليعى شجاع فى الحروب التى شهدها الشام ضد الصليبيين، ففى عام ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م خرج الروم من أنطاكية لمهاجمة حلب وكان عليها نصر بن صالح وكان يشاركه فى الحكم أخيه ثمال بن صالح ونزل الروم على هضبة قرب عزاز من أعمال حلب، ثم أرسلوا سرية من كبار قادة الجيش الرومى إلى عزاز، فأسرع الأميران المرداسيان للدفاع عن البلاد وإستطاعا أن ينزلا بالمهاجمين هزيمة ساحقة، وأرغما حاكم أنطاكية على عقد صلح فى نهاية عام ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م.

ثم ظهر الأتراك السلاجقة الذين حاولوا فرض نفوذهم على بلاد الشام ومن بينها حلب المرادسية، وعلى الرغم من مسايرة بنى مرادس للسلاجقة، وذلك عندما قام جماعة منهم من عطية بن صالح أمير بنى مرادس فى حلب عام

٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م وعرضوا عليه خدماتهم فإستقبلهم ابن صالح إلى قواته وتقوى بهم، ولم يلبث أن وقع خلاف بين عطية بن صالح والسلاجقة، فلجأ السلاجقة إلى أمير أخر من بنى مرادس هو «محمود بن نصر» الذى قام بمحاصرة حلب فى عام ٤٥٤/ ١٠٦٢ وبقيت حلب فى أيدى المرادسيين حتى ظهر «تاج الدين تتش» السلجوقى وحاول الإستيلاء على حلب فى عام ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م فعاونه أهالى حلب، وبعث إلى مسلم بن قريش أمير الموصل ليملكوه حلب، فإستطاع مسلم تملكها عام ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م وبقيت حلب فى أيدى المرادسيين حتى سقطت فى أيدى السلاجقة عام ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠.

وفى عهد الأتابك زنكى صاحب الموصل كان ظهور قبائل ربيعه، وهم بنو ربيعه بن حازم من بنى الجراح، وترجع أصولهم إلى طئ عرب الجنوب وولى ربيعه إمارة عرب الشام فى عهد طغتكين السلجوقى حاكم دمشق.

ولما تولى نور الدين محمود بن زنكى حكم الشام عام ٩٤٥/ ١١٥٤ ووفد عليه ربيعة أكرمه نور الدين وشاد بذكره وفى عهد السلطان صلاح الدين شارك العرب مع صلاح الدين فى حروبه ضد صليبى الساحل فى عام ٢٨٥هـ/ ١١٩٢م وكان الدور الحربى الكبير لقبائل العرب فى الشام فى العصر المملوكى الذى يعد بحق أهم الفترات الحاسمه فى تاريخ الشام لإرتباطها بالأحداث العالمية التى من أهمها وأخطرها ضد الزحف المغولى القادم من الشرق منذ أول معركة وأشهرها (عين جالوت) عام ٦٤٨/١٢٥٠ ثم دور الهجوم وتحقيق الإنتصارات ضد العدوان الصليبى القادم من أوربا فى عصر الدولة المملوكية.



الغزو المغولى للبلاد الإسلامية

بعدما إستولى المغول على دولة الخطا وصار كل من المغول والخوارزميين متجاورين، لم تكن العلاقات بينهما علاقات وفاق ومودة بل إن العداء كان مستحكماً بسبب حوادث مقتل التجار الذين بعث بهم چنكيزخان إلى خوارزم ونزلوا فى مدينة أترار، فعقد چنكيزخان العزم على محاربة علاء الدين خوارزم شاه للإنتقام مما جرى للبعثة التجارية المغولية.

بدأ چنكيزخان الغزو لخوارزم فى عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م وهو عام مقتل البعثة التجارية فى أترار، بدأ الغزو وفق خطة مرسومة، فإستولى أولاً على كل البلاد الواقعة بين نهرى سيحون وجيحون ثم وزع أمر الأستيلاء على أقاليم الدولة الخوارزمية بين أبنائه وقواده، فتوجه جيش مغولى إلى إقليم خوارزم ثم توجه جيش أخر إلى خراسان فى نفس الوقت الذى يخضع فيه المغول مدن أعالى نهرى سيحون وجيحون ليمهدوا للإستيلاء على غزنه، بينما أخذ قواد المغول الآخرين يطاردون علاء الدين خوارزم شاه حتى إضطر إلى اللجوء إلى إحدى جزر بحر قزوين ليختبئ فيها بينما المغول يفسدون فى أقاليم العراق العجمي وأذربيجان وجورجيا وفى بلاد ما وراء النهر التى كان يسكنها أقوام من الفرس والترك والعرب ويقع فى الغرب منها إقليم خوارزم وبينهما يقع إقليم صحرواى بدأ چنكيزخان الهجوم على تلك الجهة بعد أن قسم جيشه إلى أربع فرق، وخص كل فرقة بمهمة الإستيلاء على جزء معين حدده لهم، وبهذه الطريقة فاجأ المغول المسلمين بهجوم شامل من جميع الجهات وفى وقت واحد، وكلف للهجوم على مدينة أترار إبنيه ججتاى وأجتاى.

وكلف قائده جوجى الإبن الأكبر للخان بإخضاع مدينة (جند) إحدى

الحصون الإسلامية القوية على نهر سيحون، وللإستيلاء على «بنكت» وجنده وهما أهم المعاقل والمنافذ على نهر سيحون فقد كلف ثلاثة من كبار قواده لغزوها.

وقد رأس چنكيزخان بنفسه وشاركه إبنه تولوى للهجوم على قلب ما وراء النهر، وإستولى على بخارى وسمرقند، ليحول دون وصول علاء الدين خوارزم شاه إلى المدن المحاصرة فى الشرق من نهر سيحون.

لقد وضع المغول خططهم الحربية بقصد الإستيلاء على أهم الثغور والمدن وهى مكان تجمع الجيوش الكبيرة حتى يمنع الإمدادات الحربية والمؤن من الوصول إلى المدن المحاصرة.

أما مدينة أترار التى أمر حاكمها الخوارزمى «دينال خان» بقتل رجال بعثة أترار التجارية، فقد قام بحصار المدينة المغول لمدة خمسة أشهر وقاد الحصار إجتاى وججتاى، وعلى الرغم من تقوية المدينة عسكرياً فقد عجز الخوارزميون عن مواصلة الصمود ولكن الثقة كانت مفقودة بين المحاصرين، فإنتهى الحصار بتسليم المدينة قهراً فى عام ٦٦١/ ٩١٢١، أما يتال خان فقد لجأ إلى القلعة وهو يدافع مدة شهر ثم حاول الهرب من القلعة فتبعه جنديان من المغول ولكنه قاومها دون جدوى وسقط فى أيدى المغول فى سمرقند حيث كان معسكر چنكيزخان.

أقتيد يتال خان الذى أمر چنكيزخان بتعذيبه للإنتقام منه جزاء فعلته فى أترار، وفى مدينة جند وتقع على نهر سيمون هاجمها الجيس المغولى الذى قاده جوجي أكبر أبناء چنكيزخان وبعدها سيطر المغول على مجرى نهر سيمون.

أما حاكم المدينة فقد غادرها ليلاً حينما أدرك عدم جدوي المقاومة. وقررأهالي المدينة تسليمها بعد ما وافقت الاغلبية علي التسليم وتسلمها المغول

وأسندوا قيادتها الي حكام يديرون شئونها وغادروها متجهين الي اقليم خوارزم ثم اتجه القادة الثلاثة الذين كلفهم جنكيزخان بالإستيلاء علي مدينة بنكت علي نهر سيحون وخجندة في الجنوب منها، وقد سلمت بنكت للمغول الذين دخلوا المدينة ونقضوا عهدهم بالأمان لمن فيها، فقتلوا جند المدينة وقادوا الاهالي لاستخدامهم في الاعمال الحربية. ثم واصل المغول سيرهم جنوبا الي مدينة خجندة علي نهر سيحون، وفي هذه المدينة قرر قائد حاميتها «تيمور ملك» مغدرة المدينة وصحب معه ألفا من جنوده الي جزيرة صغيرة وسط النهر وتبعد عن شاطئيه بعيدا عن متناول أيدي المغول .

ثم جمع المغول أكثر من عشرين الف جندي مغولي يرافقهم خمسون ألفا من شباب الخوارزميين ليقاتلوا «تيمورملك» ويفسدوا عليه خطته في الاعتصام في الجزيرة، فعملوا علي احضار الأحجار من الجبال المجاورة وسدوا بها النهر وجعلوا منها طريقا يصل الجنود الي معقل تيمور ملك، إلا أن تيمور ملك عمد الي خطة يواجه بها المغول ويحول بينهم وبين الوصول إليها، فبني اثني عشرة سفينة كبيرة غطي جدرانها بالجلود يبعث ببعضها الي الجنود الذين يبنون طريق الحجارة يغيرون علي هؤلاء الجنود ويمنعوهم من مواصلة العمل بقذفهم بالسهام، ولما لم يجد تيمورملك جدوي من نجاح خطته عزم علي الهرب . فاحضر سبعين مركبا وشحنها بالجنود والأمتعه واتجه بها الي شمال النهر، ولكن المغول كانوا يراقبونه من كل اتجاه . ثم وصلته أخبار حشود قوة كبيرة من جند المغول قرب مدينة جند علي ضفتي نهر سيحون، وأن النهر قد اغلق بالسفن فلجأ تيمورملك الي حيلة أخيرة فاعتلي جواده ودخل مع الجنود المغول في قتال مرير ثم تمكن من التحايل علي مطارديه حتي استطاع أن يهرب بنفسه، ووصل اخيرا الي خوارزم حيث تقابل مع جلال الدين منكبرتي بن علاءالدين خوارزم شاه.

وأما چنكيزخان فقد توجه بجيشه الذى يقوده هو وإبنه تولوى إلى بخارى وتمكن چنكيزخان من الإستيلاء على المدن التى تقع على الطريق الذى سلكه وهو متجها إلى بخارى وعين على كل منها حاكماً مغولياً، بعد أن سلبها مماوجده فيها من الذهب والفضة، ثم جمع من يمكن إستخدامه فى حصار مدينة بخارى التى بدأ حصارها فى عام ٦١٦/ ١٢١٩ ولم تغد المدينة القوة الإسلامية التى بلغت عشرون ألف مقاتل حيث لم تكن معنوياتهم فى مستوى يسمح بالمقاومة ضد الغزاة المغول الذين إرتفعت معنوياتهم إلى أقصى حد بسبب ما تحقق لهم من إنتصارات متتالية فى جميع أنحاء البلاد التى قصدوها حتى صارت إنتصاراتهم تسبق هجومهم على خصومهم.

وعلى الرغم من شجاعة المقاتلين فى المدينة وقيامهم بالجهوم المفاجئ على المغول حتى أرغموهم على الإرتداد وهم يخترقون صفوفهم، إلا أنهم من شدة الرعب من المغول يكتفون بالنجاة بأنفسهم مع أن النصر كان حليفهم إلا أن الخوف دفعهم إلى الفرار فى الوقت الذى كان بإمكانهم تتبع المغول وهزيمتهم وتحويل النصر إلى صفوفهم ولكن المغول إنتهزوا فرصة إنسحاب المدافعين وتتبعوهم ودخلوا معهم فى قتال شديد قرب نهر سيحون حتى إنتزعوا النصر لأنفسهم، وقد دفع هذا الموقف أهالى المدينة إلى إبلاغ بدر الدين قاضيخان ليخاطبوا چنكيزخان فى تسليم المدينة فإستجاب الخان وفتحت أبواب المدينة فى نفس عام الغزو المغولى للمدينة، ثم دخل الخان المسجد راكباً فرسه، ولما علم أنه بيت الله وليس قصر السلطان صعد المنبر وأعطى إشارة لرجاله بأن تستباح المدينة وأعطى رجاله حرية القيام بالإحتفال بما يدخل السرور على قلوبهم حتى إنهم أحضروا إلى المسجد قرب الخمر وتناولوا الخمر وهم يغنون بينما أمسك

كبار الأئمة بعنان خيولهم وأحضروا إلى المسجد صناديق مملوءه بنسخ من القرآن وقعت تحت حوافر خيولهم إظهارا للإستهانة بالمسلمين وبعقيدتهم.

ثم جمع چنكيزخان أعيان المجتمع وأبلغهم أن ما فعله هو وجنوده لم يكن إلا إنتقام لما فعله السلطان الخوارزمى، ثم كلفهم بإحضار ما أخفوه من أموال مدفونه ويقدمونها له.

أما من إحتمى من الجند الخوارزميين فى القلعة فقد إنتقم المغول شر إنتقام من السكان جزاء ما قتل من جنود المغول بفعل رجال القلعة، وأمر بإشعال النار فى المدينة وساعد على إشتعال النار فيها أن بيوتها كانت من خشب، وبعد أن ترك الخان مدينة بخارى أنقاضا إتجه إلى سمرقند عاصمة إقليم ماوراء النهر وجمع معه الأسرى الذين هم من بخارى ليستخدمهم فى حصار المدينة الجديدة.

على أن چنكيزخان تخلص ممن تعذرعليه مواصلة السير من الأسرى لضعفه بالقتل، بلغت مدينة سمرقند شهرتها بين الدول فى الأعمال التجارية التى لم تبلغها أى من الدول الأخرى في بلاد ما وراء النهر، وكانت مدينة محصنة ولها أبراجاً للدفاع عنها وأثنا عشر بابا من الحديد، وبلغت حاميتها ستين ألف من الأتراك وخمسين ألف من الفرس وعشرين فيلاً مدربة للدفاع عنها وعلى الرغم من قوة الدفاع المخصصة للمدينة إلا أن الروح المعنوية لم تكن على نفس المستوى.

أما المغول فقد خططوا لإرهاب القوة المدافعة حيث قسموا الأسرى إلى جماعات وأعطوا كل عشرة أفراد راية بحملها فظهروا أمام الخوارزميين وكأنهم جيش كبير، فضلاً عن الفرسان من المغول الذين فى المقدمة.

وخرج جماعة من رجال القلعة التى بالمدينة لقتال المغول إلا أن الهزيمة لحقت بهم، وهنا بلغ اليأس بالمدافعين إلى درجة أن جماعة الأتراك المشاركين فى قوة الدفاع فضلوا مفاوضة الخان على مصالحته بإعتبارهم أنهم من الجنس التركى، فقد كانوا من قبائل الترك الذين يقيمون فى شمال خوارزم ووافق چنكيزخان على العرض وعرض عليهم الدخول فى خدمة المغول والإلتحاق بجيوشهم، ثم صرح لهم بالخروج من المدينة هم وعائلاتهم وفتح لهم أبواب المعسكر المغولى.

وبعد عدة أيام خرج جماعة من كبار رجال الدين من المدينة يتقدمهم قاضى المدينة، وقابلوا الخان وعرضوا عليه الصلح وتسليم المدينة على أن يؤمنهم على حياتهم، ووافق الخان ففتحت المدينة أبوابها ولكن نكث الخان بوعده الذى قطعه على نفسه، فعندما أصدر الخان أمره إلى الأهالى بالخروج من المدينة، تخلف البعض عن الخروج فأمر بقتلهم، وإستولى على القلعة ثم قام چنكيزخان بإختبار جماعة من الأهالى وضمهم إلى حاشيته كما إختار عدداً أخر ضمه إلى جيشه للإنتفاع به فى قوة الدفاع المغولى، ثم سمح بإعادة خمسين ألفاً من الأهالى بدخول المدينة مقابل مائة أنف قطعة ذهبية، وتحولت سمرقند فى أوائل عام ٦١٧/ ١٢٢٠ إلى سيطرة الجيش المغولى.

ولم يكتف الخان المغولى بما أصاب المدينة وأهلها من دمار فأمر بوضع جزية قيمتها ثلاثمائه ألف دينار فى العام، ثم جمع أصحاب الحرف والصناعات من المدينة وصحبهم إلى قرة قورم، وكان عددهم قد بلغ ثلاثين ألفاً يعملون فى خدمة المغول فنقلوا إلى المغول الكثير من الحضارة الإسلامية.

وعلى الرغم من أن ممتلكات المسلمين ظلت فى أيدى المسلمين فإن إدراتها كانت تحت إشراف المغول، وبذلك فإن المغول لم يعطوا الفرصة للمغلوبين لإصلاح شأنهم.

لم يجد المغول صعوبة فى التقدم فى أراضى الدولة الخوارزمية حيث كانت الخطوط الدفاعية للخوارزميين قد هدمت تماماً.

***

المغول فى الإقليم الغربى للدولة الخوارزمية

عقد جنكيزخان عزمه على القبض على السلطان علاء الدين خوارزم شاه وكلف إثنين من قادته للقيام بهذه المهمة وعين لكل قائد قوة مكونة من ألف فارس تتبعه وتقاتل معه فى حالة مواجهة قوات خوارزمية، أما فى حالة ظهور السلطان منفرداً فعليها تقصى أثره حتى يتم القبض عليه.

سار هذان القائدان بقواتهما ولم تسلم المدن التى مرت عليها تلك القوات المغولية. فمن أعلن خضوعه منها ترك وشأنه ومن قاوم لقى الهوان، أما السلطان علاء الدين فقد فضل هو وحاشية التى رافقته التوجه إلى الأقاليم الغربية من دولته وقرر الإتجاه إلى مدينة غزنه ليعيد هناك تنظيم جيوشه المبعثرة ويقاوم بها المغول، فإذا تعذر عليه النصر أمكنه الإنسحاب إلي الهند، ثم عدل عن خطته هذه إلى خطة أخرى وهى الإتجاه إلى العراق العجمى وإتجه أولاً إلى خراسان وإستقر بها فى نيسابور، ثم علم علاء الدين أن المغول قد بعثوا فى البلاد يبحثون عنه فقرر الإسراع بمغادرة نيسابور متجهاً إلى العراق العجمى.

أما المغول فقد وصلوا إلى نيسابور وبعد أن إستولى المغول على نيسابور، جدوا فى البحث عن علاء الدين فساروا حتى وصلوا إلى العراق العجمى وإستولوا على مدينة الرى، فأضعف سقوط مدينة الرى من معنويات قادة الجيش الخوارزمى حتى لم يعد يفكر أحدهم إلا فى النجاة بنفسه.

وأما علاء الدين فقد إتجه إلى «مازندان» جنوبى بحر قزوين، وحيداً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، وإستعان بالأهالى الذين رحبوا بالتجائه إليهم وعاونوه فى الإحتماء بإحدى الجزر فى بحر قزوين، قريبة من ساحل مازندان.

وبعد عدة أيام وهو مايزال فى إحدى القرى التى على ساحل البحر، ظهر المغول، فأسرع علاء الدين بركوب إحدى السفن وإختفى عن الساحل حتى يتجنب الوقوع فى الأسر، ولما حاول بعض خيالة المغول الذين رأوه فى البحر أن يصلوا إليه سابحين فى الماء غرقوا، وأخيراً تمكن علاء الدين من الوصول إلى إحدى الجزر الصغيرة للإحتماء من الأعداء وأقام فى إحدى الخيام، وهنا تقدم إليه الأهالى المقيمين بالشاطئ بإمداده بحاجاته المعيشية اليومية حتى مات ودفن بها. وكان قد أوصى لإبنه جلال الدين منكبرتى بولاية العهد على مرأى ومسمع من أولاده الآخرين وأمرهم بطاعته.

أما المغول فقد وصلوا إلى مازندران جنوبى بحر قزوين فى عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م ثم تابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى مدينة الرى عسى أن يعثروا على السلطان علاء الدين، وفى الطريق وقعت فى أيديهم «تركان خاتون» أم السلطان علاء الدين وكانت ترغب فى الإلتجاء إلى العراق العجمى فوقعت فى الأسر، واستولى المغول على جميع ما كان معها من ذهب وفضة ومقتنيات ثمينة وبعثوا بها إلى چنكيزخان.

وفى مدينـة الرى ساعد الخلاف الدينى القائم بين المشـايخ على إنعدام المقاومـة، بل وفتح أبواب المدينـة للمغول للإنتقـام من خصومـهم ولما دخل المغول إنتقموا منهم جميعاً بغير تفرقـة.

ثم إتجه المغـول إلى همذان التى إستطاع حـاكمها أن ينقذ المدينـة من شر المغول بتـقديمة عـرض الصلح والهدايا الغاليـة من كل مـا يشـتـهون فتركوهـا متجـهين إلى قزوين التـى دافعت وقاومت المغول أشد مقاومـة وسـقط الكثـير من الجانبين، ثم سقط العراق العجمى تحت سيطرة المغول، ثم إن إنخفـض المعنويات فى الأقـاليـم الغربيـة سهلت للمغول سيطـرتها على مدن هذه الأقـاليم دون كثير عنـاء، أما مـدن أذربيـجان وأران وجورجيا فقد حـاولت عقد حلف يضم جورجيا وأذربيجان وخلاط وبلاد الجزيرة ولكن لم تمكنهم المغول من تحقيق هذا الهدف وأسرعوا بإفشالـه.

ولمـا وصلت جيوش المغول إلى أربل فى أرض العـراق وقريبـاً من دجلـة، وأثاروا بذلك قلق الحكام فى تلك المنطقـة حتى أنزعج الخليفـة العباسى نفسه ولجأ إلى المناداة بعقد حلـف إسلامى لمواجهـة المغول وبعث إلى أتابكيات أربل والموصل والجزيـرة وإستطـاع أمراء اربل والموصل جمع جيوش وبعثوا بها إلى مدينـة (دقوقا) إحدى مدن أربل إلا أن الملك الأشرف إعتذر بـأنه قد بعث بجنوده إلى مصر لنجدة أخيـة الكامل والوقوف معه فى حروبـة ضد الصلبيين الذين إستولوا على دمياط وقد قدم الخليفة ثلاثمـائة فارس ليشـاركوا مع القوة التى تم إعدادها لصد المغـول عن البلاد، وظن المغـول عندما علموا بإجماع جيوش المسلمين فى إربل أن تلك القـوة التى تشكلت من تحالف القوى الإسـلاميـة قد تتغلب عليـهم ترددوا فى مواجـهتها ثم قرروا الإنسحـاب من العراق إلى العراق العـجمى وعند ذلك تقرر إعادة الجيوش الإسلاميـة إلى بلادها.

وفى العراق العجمى عاد المغول إلى أذربيجان ،آران وجورجيا وأفسدوا فيها وخربوا ثم إستولوا على أموال تلك البلاد وخيراتها .

***

المغـول فى أوربـا الشرقيـة

كلف جنكيـزخـان القائدين شبى وسوبوتاى بالبحث عن السلطـان علاء الدين خوارزم شاه وقاما بمهمتهما فى البحث وجابا شرق الدولة الخوارزمية وغربها بحثاً عن السلطـان وقاما خلالها بأعمال عسكريـة بما كان معهما من جنود بلغ تعدادها ألف جندى لكل قائد، ثم جمع هذان القائدان المغوليان الكثير من الجنود المرتزقـة من التركمان والأكراد من أهالى تلك البلاد الذين أنضموا تحت لواء المغول للقتال معهم فى حروبهم.

ثم عبر القائدان شبى وسبوتاى المنطقـة الواقعـة بين بحر قزوين والبحر الأسود إلى بلاد قفجاق، وظهر المغول فى بلاد الروس لأول مرة فى عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م وألقوا الرعب فى قلوب أهل أوربـا .

وفى عهد أجتاى ٦٢٤-٦٣٩هـ/ ١٢٢٧-١٢٤١م وجهت حملة مغولية كبيرة إلى أوربـا بقيادة باتو حفيد جنكيـزخـان فى عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م فأخضع الأقاليم الواقعة شمالى بحر قزوين وإكتسح روسيا وفرض عليهل جزية كبيرة، وألقى الرعب والخراب والدمار فى بولندا ومورافيـا وسيليزيا كما ضرب هنغاريا، ثم غادر المغول هذه البلاد فى عـام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٨م وعادوا إلى أوطانهم بعدما علموا بوفاة أجتاى.

لقد إتجه المغول إلى أوربا بعد أختراق الأراضى الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين وهذا هو الطريق الذى سار فيه شبى وسوبوتاى أما الطريق الآخر الذى سلكه باتو بحملته إلى أوربا فهو طريق يخترق الأراضى الواقعة شمالى بحر قزوين وعن هذين الطريقين إستطاع المغول أن يلقوا الرعب فى قلوب شعوب أوربا وزلزل الخوف كبار رجال الدين والدولة هناك فصاروا جميعهم يعرضون خدماتهم على المغول ليرضوهم.

لقد قهر شعب المغول شعوب كثيرة ومن بينهما شعوب سلافيه وتركيه وكان يتم تجنيد شباب الشعوب المقهورة فى صفوف جيوش المغول، وعقب هزيمة روسيا تم تجنيد كثير من الروس فى جيوش المغول الذين إشتركوا بدورهم فى إخضاع كثيرة وقهروا شعوب أوربا وآسيا، لقد بلغ عدد المحاربين من أصل روسى فى جيوش المغول حداً كبير للغاية كذلك ضم المغول إلى جيوشهم الشركسى والقفجاق والدجار والبولجار، على أن الغزو المغولى لأوربا الشرقية لم يحدث تغييراً ملحوظاً فى كيان الشعوب الأوربية.

لقد كان الزحف المغولى عبر إيران والقوقاز إلى أوربا الشرقية وألحقت الهزيمة بالجيوش الروسية إلا أن بعض الكتائب المغولية لقبت الهزيمة عام ٦٣٠/ ١٢٣٢م فإنسحبت من أواسط نهر الفولجا ثم عاود المغول الهجوم عدة مرات ولكنهم هزموا فى كل مرة وفى عام ٦٣٤/ ١٢٣٦م شارك فى المعارك حكام أسرة جنكيزخان وتحقق النصر للمغول على أرض روسيا وتم الإستيلاء على أراض لروسيا فى عام ٦٣٨/ ١٢٤٠م، ثم واصل المغول هجومهم مراراً تكراراً حتى صارت روسيا المسكوفية فى تبعية إقطاعية للإمبراطورية الذهبية المغولية.

وعلى الرغم من الإنتصار المغولى فلم يكن هناك تأثير مغولى على كيان

الشعووب المقهورة وحين إنتقل الغزو المغولى إلى قلب أوربا عم سكان أوربا الشعور بالفزع والقلق غداة ذلك الغزو وإتجه المغول صوب البحر الأدرياتيكى، وحين بلغ القادة المغول خبر وفاة الخان العظيم عادوا فجأة إلى ديارهم فى عام ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م.

***

المغول فى خراســـان

بعد رحيل شبى وسوبوتاى إلى دول شرق أروبا حاولت بعض مدن خراسان التخلص من حكم المغول وفى مدينة طوس قتلوا الحاكم المغولى.

فكلف القائد المغولى تولوى بن چنكيزخان بالتوجه إلى إقليم خراسان فى خريف عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م قاد تولوى جيشه إلى خراسان يقوده توجاشر زوج إبنة چنكيزخان وبلغ عدده عشرة آلاف جندى وإتجه بهم إلى مدينة نسا، ولما حاول أهلها الدفاع عن مدينتهم أشعلوا فى نفوس المغول الرغبة فى الإنتقام من أهل المدينة فعمدوا إلى أشد الأساليب إنتقاماً وإستخدموا الغدر وقتلوا غالب أهلها.

أما تولوى فعندما إتجه إلى خراسان كان هدفه إحتلال مرو عاصمة إقليم خراسان، وإستطاع تولوى بجيشه وبإستخدام أساليب الحيل والخداع إحتلال مرو ثم إتجهوا بعد ذلك إلى مدينة نيسابور فنكلوا بأهلها أشد تنكيل ثم إتجهوا بعد ذلك إلى مدينة مرو ثم إلى مدينة هراة القريبة من نيسابور وحاولت المدينة المقاومة دون جدوى ولم يجد حاكم المدينة سوى التسليم بشرط الأمان وذلك بعدما عجزوا عن الدفاع عن المدينة أمام جيوش المغول الذين أحاطوا بالمدينة

وحاصروها من كل الجهات، وقد قبل تولوى العرض بالتسليم بشرط أن يؤمن المغول الأهالى على أوراحهم إلا أن تولوى الذى ملأ الحقد قلبه على أهالى المدينة لأنهم قتلوا رسوله الذى أرسله ليطلب من أهلها التسليم غدر بأهل المدينة ولم يف لهم بوعده الذى قطعه على نفسه بالأمان، كما أنه حين وافق على ما طلبه الأهالى من الأمان لأنفسهم كان تحت ضغط الأنقسام الذى وقع بين أفراد قوته فأراد عبور هذا الإنقسام دون مواجهة مع رجاله.

وفى هراة أقدم تولوى على تعيين حاكماً مسلماً على المدينة ولكنه شاركه حاكم أخر مغولى للمراقبة، ثم جاء خبر إستدعاء تولوى ليقابل أباه چنكيزخان فى مدينة الطالقان عند نهر جيحون.

وكان تولوى خلال فترة تواجده فى خراسان قد تمكن من إخضاع هذا الإقليم وجعل تبعيته للمغول.

وفى خلال إحتلال المغول لخراسان أقدمت إحدى القبائل التركية على الهجرة وكانت تسكن بالقرب من مرو وإتجهت غربا، إلى أرمينيه ثم عاد المغول وأغاورا علي أرمينية بعد ثمانية أعوام فإنسحبت هذه القبيلة إلى آسيا الصغرى وإختار زعيم هذه القبيلة التركية المكونة من أربعمائة وأربعين عائلة إحدى المقاطعات التى تحت حكم السلاجقة فى إقليم أنقره على حدود بيزنطة، ثم وسعت هذه القبيلة الرقعة التى سكنتها بتوغلها فى الأراضى البيزنطية بعد وفاة زعيمها أطغرل وتزعم عثمان القبيلة، وهو الذى الذى وضع أساس الدولة العثمانية ولقب نفسه بالسلطان فى عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م مستفيداً من الضعف الذى لحق بسلاجقة الروم بسبب خلافاتهم وعدم إلتفافهم حول زعيم واحد.



المغــول فى غزنــه

حاول السلطان جلال الدين منكبرتى فى إقليم غزنه إستعاده سلطان الدولة الخوارزمية، وشرع فى إعادة تنظيم قواته من فلول جيشه الهاربة وإستطاع أن يقاتل إحدى الفصائل المغولية وأن يحقق إنتصاراً عليها فى السهول المحيطة بمدينة بيروان شمال غزنة.

ولما وصلت أخبار السلطان جلال الدين إلى الخان الأكبر للمغول وهو يواصل إخضاع باقى الأقاليم الشرقية للدولة المنهزمة، أصدر أوامره بملاحقته والإشتباك معه حتى لا يستحفل أمره وأسرع المغول إلى جلال الدين، فوصلته أخبارهم فأسرع بالخروج منها، ووصل المغول بعد أن غادر المدينة مباشرة فأسرعوا فى متابعته إلا أن السلطان تمكن من خداع المغول، وإبعادهم عن خط سيره وكلف أحد قواده بإتخاذ طريق أخر للسير فيه يشغلهم عن طريق السلطان جلال الدين، وفعلاً إستخدام هذا القائد بذكائه أسلوباً جعلهم يتوهمون أن هذا الطريق هو الطريق الذى سار فيه السلطان فتتبعوه وساروا فى إثره فأمن جلال الدين خطر تعقب المغول له ونجا من شرهم، وبعد جهد جهيد وصل السلطان إلى مدينة زوزون فى خراسان، وفي هذه المدينة إستطاع جلال الدين أن يسترد أنفاسه هو وجنوده، ثم عزم على الرحيل خشية تتبع المغول له وإلحاق الأذى بالمدينة وأهلها، ولما واصل جلال الدين رحلته وصل إلى مدينة غزنة بعد ثلاثة أيام، وفيها فرح الأهالى بقدومه إليهم وإنضم إليه جماعة كثيرة لقتال المغول المعتدين وبلغ عدد من أنضم إليه نحو سبعين ألف فارس. وإستطاع جلال الدين حينما إشتبك مع طلائع جيوش المغول أن يحقق إنتصاراً حيث قتل منهم ما يزيد على ألف مقاتل مغولى.

ثم توالت إمدادات المغول فوصل جيش مغولى مكون من ثلاثين ألف رابطوا قريباً من مدينة كابل وكأحتياطى للقتال عند اللزوم.

سار المغول بجيوشهم لقتال جيش جلال الدين الذى خرج بدوره من مدينة بيرون لملاقاة المغول المحيطين بالمدينة وتقع على مسيرة يوم من غزنة.

أما جلال الدين فقد نظم جيشه فجعل منه ميمنة وميسرة ووسط، وإمتطى الجنود الخيل إستعداداً لملاقاة المغول، وهاجم المغول ميمنة جلال الدين وهم فى عشرة آلاف مقاتل مغولى وتمكن جنود الميسرة والوسط أن يوقفوا المغول وظل القتال يوماً، وفى المساء إنسحب كل فريق عائداً إلى معسكره، ثم لجأ المغول إلى الحيل التى توهم الخصم بأن إمدادات وصلت إليهم ودخلت الحيلة على قادة جلال الدين إلا أن جلال الدين لم يستجب لتلك الحيلة وصمم على قتال المغول، وإستمر القتال. وهاجم المغول ميسرة الجيش الخوارزمى، فأسرع حملة السهام بقذف المغول بوابل من السهام فأسرعت المغول بالفرار، وتحول الموقف بين الطرفين لصالح جلال الدين وتتبع جيش جلال الدين المغول الفارين من هول السهام الساقطة فوق رؤسهم وركبت الفرسان خيولهم وراء المنسحبين من المغول الذين لم يجدوا فرصة للهروب حيث أعاقتهم كثرة الوديان المتقطعة وحصدتهم سيوف الخوارزمين فقتل معظم جيش المغول حتى فنى غالبيتهم.

ولما وصلت أنباء هزائم المغول إلى بعض المدن الخوارزمية، تبادر إلى ذهنهم أن الأحوال ستتغير لصالحهم، فهاجموا المغول وثارت هراة على المغول، فأسرع المغول بإرسال النجدات إلى هراة وإشتعل القتال بين المغول والمقاومة فى هراة، إلا أن إنقسام المدافعين فيما بينهم أسرع بهزيمتهم، فسقطت المدن فى أيدى المغول فى جمادى الأخر من عام ٦١٩هـ/ يونيو ١٢٢٣م.

كذلك وقع الخلاف بين قـائدين من قادة جـلال الدين لسبب واه ولم يخضع المعتدى أو المعتدى عليه، فإنسحب المعتدى عليه بجنوده إلى «بشاور» على حدود الهند وتبعه كثير من الجنود الغورية. ولما أدرك جلال الدين ضعف قواته بعد هذه الحادثة إنسحب متجهاً إلى السهل الواقع غربى نهر السند. كما وردت الأخبار بإتجاه چنكيزخان إلى غزنه لرد الهزيمة التى لحقت بجيشه فى سهول بيروان.

على أن القادة المنسحبين بعد أن راجعوا أنفسهم عملوا على إصلاح الموقف والإنضمام إلى جيش جلال الدين ولكن بعد فوات الأوان. فقد عقد جلال الدين العزم على العبور بجنوده إلى نهر السند، لعل الأحوال تتحسن هناك، ولكن كان چنكيزخان قد أسرع إلى القدوم للثأر من الهزيمة التى لحقت بجيوشه.

وقامت معركة بين جلال الدين وچنكيزخان وثبت جلال الدين لجيوش المغول، ثم حمل على القلب وكان به چنكيزخان وتغلب عليه وكادت الهزيمة تلحق بالزعيم المغولى الكبير، إلا أن كميناً كان قد أعده مكوناً من عشرة آلاف مقاتل خرجوا على ميمنة جلال الدين فهزموا فتفكك الجيش ووقف جلال الدين فى القلب وحوله سبعمائة مقاتل يدافعون ببسالة فائقة، وحاولوا فتح ثغرة فى صفوف المغول دون جدوى وإضطر جال الدين إلى اللجوء إلى النهر وهو يمتطى صهوة جواده من إرتفاع عشرين ذرعاً حتى وصل إلى الجانب الشرقى من النهر، ووقع أحد أبنائه فى النهر وكان فى السابعة من عمره فأخذه چنكيزخان وقتله، ولما صرخ أهله يرجونه ليقتلهم ويخلصهم من الأسر، فأمر بهن فغرقن.

وفى الهند قامت الدولة الغورية. ثم توسع حكامها فى إمتلاك الأقاليم

الهندية وبعد ظهور الخوارزمين إنسحبوا من غزنة إكتفاء بالأقاليم الهندية.

على أن الخوارزمين الذين دخلوا الهند حفاة عراة إستطاعوا أن يستردوا بعض ما فقدوه من الإغارة على المدن الهندية والتى كانت تحت حكم بعض الأسر التركية التى تحتمى بالدولة الغورية فلما ضعفت الدولة الغورية دخلوا الهند وكان منهم حكام أقوياء هم حكام كرتسى ولاهور ومولتان ودهلى، وفى دهلى أراد جلال الدين أن يجعلها سكناً لأنها أبعد تلك المدن عن الدولة الخوارزمية، إلا أن أمير المدينة عمد إلى إغراء جلال الدين بإختيار مكاناً أخر. وقدم له الهدايا وبادر بإعلان صداقته لجلال الدين ورحب به زوجاً لأبنته وقدم له النصيحة للعيش فى مدينة «مولتان» على نهر السند، وإستجاب جلال الدين وأخذ بمشورة المشير.

أما المغول فلم يجدوا بداً من إقتفاء أثر جلال الدين وبعثوا بمن يجد فى البحث عنه فى بلاد الهند غير أنهما تراجعا عن مواصلة البحث خوف الأخطار التى يواجهونها فى بلاد الهند. وأرتدوا عائدين إلى قوات المغول الرئيسية.

على أنه بعد إستيلاء المغول على إقليم غزنة أصبحت أراضى الدولة الخوارزمية فى متناول أيديهم.

ثم قرر چنكيزخان بعد ذلك العودة إليى منغوليا وذلك فى عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م. أما الذى دعا چنكيزخان للعودة، فهي ثورة قبائل التانجوت، وقد إستخدم المغول نفس الطريق الذى جاءوا منه عند قدومهم إلى أرض فارس.

ولما وصل مدينة بخارى جمع بعض رجال الدين من المسلمين، وإستمع إليهم وهم يشرحون له مبادئ الإسلام وقواعده فوافقهم على كل ما قالوه ولم

يـقبل مبدأ الحج إلى مكـة، لأنه رأى أن العبـادة للـه وهو موجود فى كل مكان ويمكن التوجـه إليه لعبادته فى أى مكان، ويـقال أن القـائد المغولى چـنكيـزخـان قد دخـل فى الإسلام. (١)

وفى سـمـرقـند إستقبـل رجال الدين فطلب چنكيـزخـان منهم الدعاء لـه فى الخطبـة وأعفـاهـم من الضريبـة التى كانت مقررة على المشايخ، ثم إستدعى أبناءه ليرافـقـوه فـى العودة إلى منغوليـا، وفـى عودتـه قرب نهر سيـمـون تـقـابل مع ولديـه ججتاى وأجتاى وسـار چنكيـزخـان فى الطريق متجهـاً إلى موطنـه الأصلى فى عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م بعـدمـا أوصى بـولايـة العـهـد لأبنه الأصـغـر أجتـاى، كمـا تـقابل فى الطريق مع حـفيديه كـوبلاى وهولاكـو، الذى كان حينـذاك فى التـاسـعـة من عـمـره.

وعندمـا وصـل چنكيـزخـان إلى منغوليا حارب القبائل الثـائرة (التـانـجوت) كما أعلن الحرب على إمبـراطورية سونج الصـينية، وشارك چنكيـزخـان وكـانت الحرب مستمرة ولم تنته بعد.

على أن چـنكيـزخـان قـام بـتوزيـع إمبـراطورية المغول بين أبنائه فـجـعل لجوجى بلاد خـوارزم وخـراسـان والأقاليم الواقعـة شمـال بـحـر أرال والتى تمتد غرباً حتى تـشمل بلاد القـفـجاق وشمـالى البحر الأسود وكذلك الأقـاليم التى تمتد حتى بلغـاريـا التى أخـضـعها القـائدان شبى وسوبوتـاى.

ولمـا توفـى جـوجـى قبل وفـاة أبيـه ورث أبنه بـاتو - حـفيد چـنكيـزخـان - مكان أبيه جـوجى وباتو هذا هـو الذى أخـضـع روسيـا وبلغـاريا وخـرب بـولندا ومـوارفيـا ودالمـاشـيـا.

---

(١) الصـين والعرب عبر التـاريخ، مـحـمـد مـحـمـود زيـتـون ط دار المـعـارف ١٩٦٤ ص ٥٥.

أما جـجتـاى فقد إختص ببلاد ماوراء النهر وكاشغر وبلخ وغزنة، وإختص أجتاى بالأراضى التى تجرى فيها «إميل» وتشمل بعض أقاليم دولة الخطا. أما الأراضى الواقعة حول «قرة قورم» العاصمة المغولية حينذاك فعهد بها إلى تولوى.

وكما وزع چنكيزخـان أملاكه بين أبنائه فقد وزع عليهم جيوشه وإتجه كل من هؤلاء الأبناء مع قواده وجنده إلى الجهة التى خصصت له ليحكمها، وهكذا صارت دولة المغول كما قرر لها أن تكون.





الفصل الرابع
الموقف في البلاد الإسلامية
بعد غياب چنكيزخان من الميدان

* نتائج العودة لسياسة الإنتقام بين المسلمين ونبذ سياسة المصالح والوئام
* عودة المغول إلى الظهور من جديد


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الرابع

المـــوقـــف فى البــلاد الإســلاميـــــة بعد غيــاب چنكيــزخــان من الميـدان

ترك چنكيزخـان الأراضى الإسلاميـة عائداً إلى بلاد المغول، بعد أن جعلها أشبه ما تكون بصحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، أباد سكانها وخرب مدنها حتى صارت أطلالاً، وقد تشرد سلطان تلك الدولة الخوارزمية «عـلاء الدين خوارزم شاه»، حتى إنتهى به الأمر حيث مات فى إحدى جزر بحر قزوين.

أما أبناؤه فقد لحق بعضهم القتل وإختبأ بعضهم ومنهم من إختبأ وتوارى عن الأنظار ومنهم من ظل يحارب ثم ينسحب حتى تتاح الفرصة للعودة، حيث يبدأ الكفاح من جديد من أجل إعادة الوطن السليب.

فقد فر غياث الدين شيرشاه إلى مازندران وإحتمى بها فلما إبتعد المغول ظهر من جديد إلى الكفاح من أجل البحث عن الحرية وإستعادة مكانته، فبعد مارحل المغول عائدين إلى بلادهم عاد غياث الدين الدين وإستعاد أملاكه فى جنوب وغرب الدولة وكانت نصيبه من التقسيم الذى قضى علاء الدين بين أبنائه فى الدولة الخوارزمية وكان يساعده فى حكم هذا الجزء من الدولة خاله «إيغان طائيسى» ولكن تغير خال غياث الدين على إبن أخته وشق عصا الطاعة عليه وساعده فى ذلك أحد قاده جيشه، كذلك الخليفة الناصر العباسى، لما كان بينه وبين الخوارزمين من عداء قديم وإنضم إلى «إيغان طائيسى» عدد كبير من رجال الجيش.

إلا أن غياث الدين تمكن من مواجهة الثائرين وهزمهم فى عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م ثم عاد إيغان طائيسى وإعترف بسلطان غياث الدين الذى سيطر على

العراق العجمى وخراسان، وأيضاً إقليم مازندران فى جنوب بحر قزوين.

ثم ظل غياث الدين يوسع فى أملاكه على حساب الأتابكيات المجاورة ويحكمها الأتابك سعد بن تكلا ولما تمكن غياث الدين شاه من الإستيلاء على أتابكية فارس حتى لم يبق مع سعد إلا بعض القلاع الحصينه بادر سعد بالصلح مع غياث الدين وإتفقا على أن يحكم كل منها جزءاً من أتابكية فارس، ولما أساء غياث الدين السيرة فى الحكم منغمساً فى لذاته وأهوائه لم يجد من يخلص له فى حكم البلاد لضعفه أمام قادته.

أما جلال الدين منكبرتي، الذى حارب المغول وهزمهم ثم عجز عن مقاومتهم بعد قتاله مع چنكيزخان الذى علم بعودة جلال الدين لقتال المغول وتحقيق إنتصارات حربية ضد جيوشه، ولم يستطيع جلال الدين مواجهة چنكيزخان الذى أحضر معه لقتال جلال الدين عشرات الآلاف، وتمكن فعلاً من هزيمة جلال الدين الذى أضطر إلى الهروب بعد موقعه السند، ثم توغل فى أرض الهند حتى لجأ إلى مدينة مولتا على نهر السند، وهناك إستطاع جلال الدين إستعادة قوته خاصة أن كثيرين من القادة قد فروا إليه لخلافهم مع أخيه غياث الدين ثم عقد غياث الدين عزمه على العودة إلي بلاده تاركاً أرض الهند، وواصل سيره وقد إنضم إليه كثير من حكام البلاد التى قابلها فى طريقة وعرضوا فروض الطاعة والولاء حتى تقدم جلال الدين لملاقاة أخيه غياث الدين وإستخدم جلال الدين الحيلة فرفع الرايات البيضاء كما يفعل المغول فظن غياث الدين أمام جيش مغولى وفر منسحباً تاركاً جيشه يواجه الموقف، ولكن غياث لم يلبث أن عاد إلى الموقع لقتال أخيه حيث تمكن من قيادة ثلاثين ألف فارس.

وعند ذلك لجأ جلال الدين إلى إستخدام الحلية مع أخيه غياث الدين، فقال

له إنه لم يحضر من بلاد الهند إلا ليزوره كأخ ويجاوره دون أى غرض آخر وعندئذ فرق غياث الدين جيوشه، وهنا إنقلبجلال الدين وحارب أخاه غياث الدين فغلبه وإنتصر عليه فلجأ غياث الدين إلى مدينة الرى لمناعتها، وبذلك صار جلال الدين يمتلك الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية وزاد من قوة جلال الدين لجؤ قادة الدولة الفارين يلتمسون الصفح عنهم لسابق عصيانهم له فأجابهم إلى دعوتهم، كما أعلن جميع حكام المدن الذين إستطاعوا إستعادة مراكزهم بعد غياب المغول عن تلك الجهات، فوافق من إطمأن إليه وعزل من كان يشك فى إخلاصه منهم.

ثم أقبل جلال الدين يؤكد لوالده غياث الدين حبه لأخيه غياث الدين وأبلغت أم غياث الدين بما قاله لها جلال الدين فعادت الأمور إلى أحسن حالها بين الأخوين، وأصبح غياث الدين أميراً معززاً فى دولة جلال الدين.

وإستقرت الأمور لجلال الدين وصار نفوذه على أقاليم خوارزم وغزنه وكرمان وفارس وخراسان ومازندران، على أن إقليم ما وراء النهر ظل فى يد المغول، كذلك لم يكن فى إستطاعة جلال الدين السيطرة المطلقة فكان من الحكام من لا يعترف إلا بتبعية أسمية للسلطان جلال الدين، فكانت تدفع الجزية حسب رغبة الحاكم لا كما يقرر السلطان فلم تكن الدولة الخوارزمية فى صورة قوية متماسكة ولم يكن جلال الدين بعيد النظر حينما حاول أن يعيد سياسة السيطرة على الخلافة العباسية فاستعان بالشيعة وبالأتراك، وبذلك صار غير مؤيد من الخلافة العباسية فخسر بذلك العالم الإسلامى السنى وقد كان بإمكانه أن يكون عامل وفاق فى المجتمع الإسلامى بدل أن يكون عامل شقاق، وقد أدى ذلك إلى إضعاف الموقف الإسلامى بصفة عامة حيث لم يكن هناك إتحاد وترابط بل تفكك وإنشقاق.

نتائج العودة لسياسة الإنتقام بين المسلمين
ونبذ سياسة المصالحة والوئام

لم يحاول جلال الدين لم الشمل والعمل بسياسة النفس الطويل بل عمد إلى السياسة التى أضعفت المسلمين امام اعدائهم ، سياسة فرض القوة والإنتقام من الخصومات القديمة، فبدلا من استمالة الخلافة العباسية الي صفه حتي يقوي مركزه أمام المسلمين لجأ جلال الدين منكبرتي الي مناهضة الخليفة العباسي الناصر ٥٥٧ - ٦٢٢ هـ / ١١٦١ - ١٢٢٥ م الذي ساهم في تشجيع المغول علي غزو الدولة الخوارزمية وبالتالي لم يساند الخوارزميين ضد المغول، فجعل السلطان جلال الدين هدفه مهاجمة بغداد نفسها عاصمة الخلافة الاسلامية.

إتجه جلال الدين بجيوشه الي إقليم خوزستان من أملاك الخليفة العباسي ويحكمه أحد مماليك الخليفة العباسي الناصر هو مظفرالدين وحاصر مدينة تستر وإشتد حاكمها في المقاومة فتعذر علي الخوارزميين النيل من المدينة فاعملوا فيها السلب والنهب كما وصل بعض جنود جلال الدين الي البصرة واعتدوا علي اهلها ، إلا أن حاكم المدينة أسرع اليهم وتمكن من قتل بعض هؤلاء الجنود المعتدين. ولم يستمر حصار مدينة تستر غير شهرين رحل بعضها جنود جلال الدين متجهين الي بغداد، وفي قرية يعقوب - وتقع بين بغداد وخراسان-كان الخليفة علي أهبة الاستعداد لقتال جلال الدين وجنوده.

ولما لم يكن جلال الدين قد أعد نفسه إعدادا جيدا لدخول بغداد ، في حين كانت جيوش الخليفة العباسي الناصر أفضل تنظيما فقد كلف القائد العباسي قشتمر بقيادتها وقد بلغ عددها عشرين ألف جندي . فضلا عن رسالة بعث بها الخلفة العباسي عن طريق الحمام الزاجل الي أمير أربل يطلب منه الاسراع بالحضور علي رأس عشرة آلاف مقاتل ، لمهاجمة مؤخرة جيش جلال الدين ومنعه

من الانسحاب حتي يقع بين فكي كماشة ويهزم شر هزيمة وعند ذلك عاد جلال الدين إلى أسلوب الحيلة فأخبر جلال الدين قشتمر قائد جيش العباسين أنه إنما حضر يطلب رضاء الخليفة في هذه الظروف التي صارت فيها البلاد الإسلامية مهدده من عودة الخطر المغولي مرة ثانية. ولكن قشتمر لم يبد إهتماما . فاضطر السلطان إلي الانسحاب عائدا من حيث أتي وتبعته جيوش الخليفة تطارده إلا أن قشتمر قتل في ذلك الحين فاضعف ذلك روح جيش الخليفه وتحول الموقف عندئذ لصالح الخوارزميين حيث عادوا يطاردون جيوش الخليفة الى بغداد.

ثم بعث جلال الدين يهادن الخليفة الناصر وقد بادله الخليفة بالملاطفة والملاينة بعدما هزم جيشه أمام جيوش جلال الدين الخوارزمي. وإتجه جلال الدين عائداً من بغداد إلى أذربيجان وجورجيا فى عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م وإستطاع أن يستولى على أذربيجان ويضمها إلى ممتلكاته، ثم توجه بعدها إلى جورجيا وهذه دولة سكانها مسيحيون بخلاف أذربيجان، وكانت متعاونة مع المغول إبان الغزو المغولى فعاملها بقسوة وإستولى عليها عنوة وإقتدارا.

وعلى الرغم من أن جورجيا أعدت جيشاً كبيراً من المرتزقة إلا أن جلال الدين أخضع جورجيا إلى سلطانه وملكها فى عام ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م.

ثم توجه جلال الدين بعد ذلك إلى مدينة خلاط وتقع على بحيرة وان فى أعالى دجلة والفرات صد تكوين حلف عربى من الملك الأشراف إبن الملك العادل أيوب صاحب خلاط فى مواجهة الخليفة العباسى، كما عمل على مواجهة طائفة الإسماعيلية وهدم حصونها ف يجنوب بحر قزوين.

حدث هذا فى نفس الوقت الذى كان يدرك جلال الدين فيه أن المغول عادوا يتربصون بالخوارزمين من جديد.

عمد جلال الدين إلى محاولة الإستيلاء على خلاط وبعد جهد كبير إستولى على المدينة عام ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م وكان يهدف بذلك إلى عقد حلف ضد العباسيين.

وقد حدث خلال تلك الفترة السابقة خلاف بين ثلاثة من أمراء الدولة الأيوبية من أبناء الملك العادل أيوب ، فقام المعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس وطبرية وما جاورها بعرض حلف بينه وبين جلال الدين بهدف الإستيلاء على خلاط وذلك نكاية في أخيه الأشرف موسى صاحب خلاط لأنه شك في نواياه ضده عندما قام بزيارة أخيه الكامل محمد صاحب مصر دون إبلاغه بذلك ووافق جلال الدين على عقد هذا الحلف مع المعظم عيسى.

ولما عرض جلال الدين على علاء الدين قيقباذ سلطان سلاجقة الروم عقد حلف بينهما لتوحيد القوى الإسلامية ضد المغول رحب سلطان سلاجقة الروم وبعث إلى جلال الدين بالهدايا ولكن لم يتم التحالف وعاد الرسل دون عقد حلف مع الخوارزمين.

ثم تمكن الأشراف موسى من عقد حلف مع أمراء الموصل وبلاد ما بين النهرين ودخل هذا الحلف قيقباذ سلطان سلاجقة الروم، وكان هذا الحلف ضد جلال الدين الذى هزمه الحلف فى خلاط التى عادت إلي الأشرف موسى ولجأ جلال الدين بعدها إلى أذربيجان.

ثم عاد الأشرف وعقد حلفاً مع جلال الدين الخوارزمى على أن يكون لكل منهما البلاد يحكمها، ورجع الأشرف إلي دولته، ويرجع سبب هذا الحلف إلى الخوف من المغول الذين عادوا إلى الظهور من جديد فأرادوا أن يقدموا لجلال الدين ما يجعله يستطع مواجهة المغول الذى بات يهدد الجميع.

وفى عهد الخليفة الظاهر العباسى الذى تولى الخلافة فى عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م تم الإتفاقبين الخليفة وجلال الدين إلا أنها لم تتم لموت الخليفة الظاهر قبل إتمام إجراءات المصالحة.

فى عهد الخليفة المستنصر العباسى ٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٢م عرض العباسيون الصلح مع الخوارزمين بشروط قبلها جلال الدين منها عدم الإعتداء على الحكام التابعين للخليفة العباسى ومنهم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومظفر الدين ككبرى صاحب إربل وإقامة الخطبة للعباسيين على منابر الخوارزميين.

بعد هذه المصالحة عاد الوفاق بين العباسيين والخوارزمين وكان ذلك إستعداداً لمواجهة خطر المغول الداهم، وقد استطاع جلال الدين التغلب على طائفة الشيعة الإسماعيلية وتمكن من كسر شوكتها إلا أن الإسماعيلية عمدوا إلى تأليب المغول على جلال الدين.

***

عودة المغول إلى الظهور من جديد

إنشغل المغول فى مشاكلهم الداخلية وقد حاول چنكيزخان علاج المشاكل بمحاربة القبائل الخارجة عن الطاعة، وظلت الأحوال غير مستقرة فى منغوليا، وقد عاد كبار قادة المغول إلى بلادهم لإنتخاب أجتاى بن چنكيزخان.

وفى عام ٦٢٦/ ١٢٢٩ تم إنتخاب أجتاى خاقانا فعزم على العودة لإخضاع الدولة الخوارزمية الإسلامية مرة أخرى.

أما جلال الدين فقد جعل إهتمامه بالأقاليم الغربية وأهل الأقاليم الأخرى الشرقية خراسان وخوارزم وغزنه، وقد ترك هذه الأقاليم فى يد الغتصبين من

رجال الدولة الخوارزمية ولما عاد بعض قادة المغول لمهاجمة الخوارزمين وإقتربت من أصفهان، وتحدد الموقف لهجوم المسلمين وقتالهم المغول إنسحب غياث الدين أخو جلال الدين إلا أن جلال الدين لم يبال بهذه الحركة وقاوم المغول بميمنة الجيش وميسرته والقلب حتى تمكن من تحقيق النصر على المغول الذين فروا هاربين بعدما وقع الكثير من جند المغول، وحاول جلال تتبعهم فدبروا له كمين قلب إنتصاره إلى فشل وتفرقت قواته، وإختفى هو عن الأنظار، ثم فاجأ الجميع بظهوره بعد ثمانية أيام من إختفائه وعلى الرغم من إنتصار المغول فإنهم سرعان ما إنسحبوا عائدين بعد أن سقط الكثير من جنودهم.

أما أول حرب أعد لها تماماً فقد دبرها أجتاى الذى بعث بجيش مغولى تكون من ثلاثين ألف مقاتل وولى قيادة ذلك الجيش إثنان كبار قادة المغول هما شيرماجون وبيدشو ولما وصل المغول إلى خراسان عبروا مسرعين حتى دخلوا الأقاليم الغربية للدولة الخوارزمية واستولوا على الرى وهمذان وبعض البلاد الأخري، وفى أوائل ٦٢٨هـ/ ١٣٢٦م وصلو إلى حدود أذربيجان، وقد جعل المغول هدفهم القبض على جلال الدين منكبرتى، فهم إذا إستطاعوا أسر السلطان سهل عليهم السيطرة على الدولة، وقد دخل تبريز عاصمة أذربيجان معتمداً على أن المغول سيقضون الشتاء فى العراق العجمى لكن المغول يسرعون لملاقاة جلال الدين ويدفعونه إلى الإنسحاب إلى موقان المجاور للساحل الغربى من بحر قزوين، وكانت حركة مفاجئة من جلال الدين الذى لم يكن يتوقع ملاحقة المغول بهذه السرعة فإضطر جلال الدين إلى العودة إلى آذربيجان.

ولما حاول جلال الدين الإستنجاد بالخلافة العباسية وأمراء ديار بكر والجزيرة، حتى إذا وصل إلى آمد فى أعالى دجلة وأسرع إليه المغول وإشتبكوا

معه فى قتال فهزموه وقتلوا وأسروا كثيراً من الخوارزمين، وتفرق الباقون، وتتبع المغول جلال الدين خمسة عشر من الفرسان، ووصل إليه إثنان من المغول فتغلب عليها وقتلهما ففر الآخران.

وقدر لجلال الدين على الرغم من أنه خاطب جماعة من الأكراد وعرفهم أنه السلطان جلال الدين وطلب مساعدتهم وإستجاب صاحب البيت لرغبته، ولكنه لما خرج لإعداد العدة للسلطان للفرار من المغول دخل كردى بالبيت وسأل عن هذا الغريب، فقالت لقد أمنه زوجي، ولكن الكردى لم يصدق أنه السلطان وضربه بحربه كانت قاتلة، ولم يظهر للدولة الخوارزمية بعد ذلك سلطان أخر وكانت وفاته فى عام ٦٢٨/ ١٢٣١م على أن من أخطاء السلطان جلال الدين منكبرتى أنه أهمل كسب ود جيرانه بل وعاداهم فأضعف من مركزه خاصة وأيضاً ساعده على تفتيت الوحدة الإسلامية، وكان كل همه إتساع رقعة دولته دون أن يحسب حساباً لمن حوله الذين كان يمكن أن يشكلوا قوة درع يستطيع بها مواجهة الأعداء المغول.

كذلك لم يكن لدية المقدرة على الموازنة ووضع الخطط الشاملة لتوزيع طاقاته على الداخل الذى يمكنه أن يمده بالأمداد والمؤن لمنع تدهور الموقف داخلياً ولكنه جعل كل إهتمامه إلى الحرب والتوسع فحسب، وهو لم يكن على دراية بأصول سياسة الحرب فى الإسلام وإلا لما قام بما قام به فى مدينة خلاط من الإسراف لجيشه فى إستباحة المدينة ثلاثة أيام، دون النظر إلى العواقب الوخيمة التى ستترتب عليها بعد ذلك.

أما المغول فقد واصلوا إستيلاءهم على البلاد الإسلامية مثل ديار بكر وماردين ونصيبين وسنجار وسلبوا ونهبوا ولم يجدوا من يردهم عن غيهم وعبثهم.

ثم دخل المغول أربل وإستولوا على العاصمة ونهبوها ولكن الأهالى أرغموهم على الإنسحاب بعد أن إحتموا بالقلعة.

ثم واصل المغول السير فى شمالى العراق العربى، وبلغوا سامرا إلا أن الخليفة المستنصر العباسى عمد إلى خطة للدفاع ونادى فى المسلمين للجهاد، وقد إشتبكت جيوش الخليفة وحلفاؤه مع جيوش المغول عند «حمرين» و «جبله» على نهر دجلة والحقت الجيوش الإسلامية بالمغول الهزيمة وأسروا عدداً كبيراً من المغول، وفى عام ٦٣٥/ ١٢٣٨ تمكن عشرة آلاف من المغول من التوغل فى العراق العربى للمرة الثانية، ثم إستدرجوا جيوش الخليفة ونصبوا له كمين فقتل الكثير من المسلمين، ثم واصل المغول غزوهم لبلاد أذربيجان وجورجيا وأرمينيا الكبرى.

وهكذا صار الحال بحيث تمكن المغول من بسط سلطانهم على معظم البلاد الإسلامية فى المنطقة الآسيوية.



الفصل الخامس
الحياة الإجتماعية والحربية عند المغول

* الحكم المدنى المغولى فى عهد خلفاء چنكيزخان
* ظهور هولاكو فى الغرب الآسيوى


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

هذه القبائل ومنها القبائل المغولية عاشت عيشه بربرية، ولكنها كانت تتطلع إلي معرفة كنه الحضارة الصينية المتاخمة لها فى الجنوب وتجرى فيها أنهار الصين التى عرفت الإستقرار منذ آلاف السنين، وأقامت البيوت المبنية من الطين فى مجموعات قروية فكان المغول يغيرون عليها، وينهبون كل ما تصل إليه أيديهم، وكان هذا هو السر فى بناء سور الصين العظيم، والذى بناه القدماء منعاً لغارات البدو من المغول ومن غيرهم من الشمال.

فالمغول شغلوا الأراضى الواقعة بين بحيرة بيكال فى الغرب وجبال كنجان علي حدود منشوريا فى الشرق، على أن قبائل المغول مع أنهم عاشوا عيشه بدوية بين تلك القبائل التى تجاورهم فإنهم ساروا على أساس نظم وتقاليد إتفقوا عليها، وإعتبروها دستورا لهم، فساعدتهم على تطورهم، فضلاً عن أنهم أخذوا أنفسهم بالتدريب العنيف وحب المغامرة، وتقبل الشدائد بروح قوية.

بدأوا بتعليم أطفالهم على الرمى بالقوس وهم فى الثالثة ودربوهم على صيد الأرانب والفيران وركوب الخراف بمسكها من أصوافها، ولذلك تربى الأطفال منذ صغرهم وهم فى صحة جيدة، وصاروا على إستعداد لخدمة القبيلة فى شبابهم وهم أقوياء جسداً وروحاً.

كذلك لم يحددوا فى حياتهم الزوجية عدد الزوجات وإنما ترك للرجال حق تعدد الزوجات بغير حدود بهدف كثرة النسل ليكثر عددهم وتصير لهم الغلبة بين الجيران، حتى أن چنكيزخان نفسه كانت له مايربو على خمسمائة زوجة، ولم تقف الفوارق الإجتماعية دون زواج من يرغب ممن يحبها من بنات المجتمع المغولى.

الفصل الخامس

الحياة الإجتماعية والحربية عند المغول

عاشت القبائل المغولية حياة بدوية تحيط بهم بعض القبائل، وقد أخذوا حياتهم بالبساطة، التى تقوم عادة على عدم الإستقرار والتنقل وهى ظاهرة تنفرد بها حياة البدو دائماً، والتى تقوم على الرحلات الدورية المتكررة فى طلب الرزق، وقد عرفت البداوة الصيد والرعى وجمع الثمار والزراعة المتنقلة، وهى تنطوى بطبيعتها على البداوة لأنها قائمة على التحرك والتنقل.

على أن ما تميز ظاهرة البداوة من الحركة الموسمية من شأنه خلق نوعاً من التداخل بينها وبين ظاهرة الهجرة، ولكنها قد تختلف من حيث أن الهجرة تفترض نقطة إنطلاق وبداية ثابته محددة سواء كانت الهجرة مؤقته أو دائمة، ونقطة الإنطلاق والبداية فى البداوة تبنو دائرية، فكل مستقر يمكن أن يكون فى الوقت نفسه مهجراً، فمن العسير التفرقة المهجر والمستقر فى حالة البداوة، فالهجرة من مكان إلى مكان وعدم الإستقرار فى مكان معين قد أصبحا من أهم الصفات التى يمتاز بها الشعب المغولى.

ونتيجة لذلك فإن المغولى نشأ وهو يكره الزراعة مع إن المغول إحتلوا بعض السهول الخصبة فى بعض الآحيان، ولكنهم لم يزرعوها، وإنما هجروها فتركوا السهل إلى الجبال ويظلون فيها حتى يختفى العشب منها وعندئذ يتعذر بقاؤهم مع ماشيتهم.

سكنت هذا القبائل التى إعتادت على الرحلة والتنقل ولم تعرف معنى للحضارة ولم يكن لها هم إلا التنازع والتنافس على موارد الرزق من القليل من العشب، على أن كل قبيلة شكلت وحدة متحدة من ناحية الجنس واللغة، علي أن

وقد سارت القبائل المغولية على طريقة دفن الموتى ودفن ممتلكاتهم معهم مهما كانت قيمتها المادية كما أن المعتقدات الدينية السماوية الثلاثة والوثنية كانت مكفولة للجميع دون تفرقة.

كما وضع چنكيزخان بمجرد إنتخابه زعيماً للمغول فى عام ٦٠٢/ ١٢٠٦ قانوناً سمى «الياساق» لتنظيم علاقة الحاكم بالمحكوم وبين أفراد الشعب وبعضهم وعلاقة الفرد بالمجتمع، وقد تقرر فى هذا القانون الطاعة لچنكيزخان، والتجمع فى قبيلة واحدة، وعقاب كل مخطئ إلى حد الموت، وجعلوا من أهم أهدافهم قهر جيرانهم.

ولذلك فقد جعلوا جل وقتهم فى الحرب أو السلم فى التدريب على القتال أو الصيد وإهمال ماعدا ذلك حتى أن مسؤلية البيت وإدارته تختص بها الزوجة فهى تقوم بكل شيئ.

وقد نظم المغول جيوشهم إلي أقسام تبدأ من عشرة آلاف رجل وتنتهي إلى التدرج الذى يصل إلي عشرة أفراد وكل قائد مسؤل مسؤلية مطلقة فى قيادة من يتبعه، وكانت مركزية القيادة تجعل چنكيزخان المرجع الرئيسى لجميع القادة وجعل شرط الترقية فى الجيش إلى الكفاءة دون غيرها.

على أن عقاب المذنب من رجال الجيش لا يتحمل هو فقط عقاب ما فعله هو بل يقع العقاب أيضاً على عائلته نفسها وقد يصل إلى حد القتل.

وقد قسم المغول فرق الجيوش المغولية إلى وسط وجناحين أيمن وأيسر ويستخدمونها للإلتفاف حول العدو تبعاً لظروف القتال مع العدو، بينما قوات الوسط تنقسم إلى مقدمة ومؤخرة.

وقد كلفت القوات الأمامية (المقدمة) بإرتداء دورعاً كاملة ويحملون السيوف والحراب ويغطون خيولهم أيضاً بدروع لحمايتها وذلك لكثرة تعرضها للأخطار أكثر من غيرها، بينما جنود المؤخرة يحملون القوس والنشاب، وقد إستخدمت جنود المؤخرة فى حركة مناورة العدو لرشاقتها، وسهولة تحركها.

كما إستخدم المغول قاذفات السهام يقذف بها العدو من مسافات كبيرة، وإستخدموا أيضاً قاذفات اللهب لإشعال الحرائق فى المدن المحاصرة، كما إستخدم المغول المجانيق وآلات الحصار، وأخذ المغول عن الصينيين من الفنون الحربية ما ساعدهم فى حروبهم ضد المسلمين، فالصينيون عرفوا البارود وإستخدموه منذ القرن الأول الهجرى/السابع الميلادى وقد إستخدمه المغول فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى، كما عرف المغول البوصلة وإستخدموها فى الحروب وكان الصينيون قد تقلوها عن العرب فأخذها عنهم المغول وإستعان المغول بأسرى الحروب الصينية وكان منهم المهندسين الصينيين.

وكان المحارب المغولى يحتفظ لنفسه فى ميدان القتال بكل ما يحتاج إليه كأنه مخزن متنقل يجعله مستقلاً بذاته وهو فى نفس الوقت مسؤلاً عنها ويحاسب من قائده إذا فقد شيئاً منها.

وكان الجندى المغولى يمكنه العيش دون تناول طعاماً إكتفاء بإمتصاص الدماء من فرسه الذى يركبه، وذلك بقطع أحد شرايينه فيشرب من دمه مصا بفمه حتى يرتوى شيئاً ما، ثم يسده ثانية، أما چنكيزخان فكان يتابع تحركات جيوشه للإطمئنان على إمداد جيوشه بكل ما تحتاج إليه، وكان يقوم بنفسه برسم الخطط الحربية ضد أعدائه قبل البدء بوقت كاف، وكان الخان يجمع قواده ويتشاور معهم، فإذا ما تم الإتفاق على خطة بعثوا بالجواسيس لتقصى أحوال العدو ثم

يتلقون منهم المعلومات ليطلقوا رجال الجيش عليها قبل البدء بالقيام بالمهمة المكلفين بها.

كذلك إستخدم المغول ما يعرف فى العصور الحديثة بالطابور الخامس، ليسهل عليهم مهمة قتال العدو والنيل منه بإهدار معنوياته أولاً.

كما إستخدموا مباغتة العدو بمهاجمته من جميع الجهات فى وقت واحد، فإذا تعذر سقوط المدينة المحاصرة فى أيديهم هاجموها وإستولوا عليها قهراً، وإذا كانت أرض المعركة سهلة عملوا على أرهاق العدو بإستمرار الحرب بدون توقف لإضعاف قوة الدفاع عن المدينة وسقوطها فإما الإستسلام أو الفرار.

وإذا ما صادفتهم مشكلة فكروا فى طريقة لحلها وذلك مثل المشكلة التى صادفتهم عند عبورهم نهر جيحون ولم يكن لديهم سفن يعبرون بها النهر، فلجئوا إلى إستخدام الصندوق الخشبى المغطى بجلد البقر حتى يمنع تسرب الماء إلى داخله ثم وضعوا فيه جميع حاجاتهم، وأنزلوا خيولهم إلى النهر ثم أمسكوا بأذناب خيولهم بعد أن ربطوا الصناديق الخشبية إليهم فالفرس يعوم فى الماء وخلفه فارسه ممسك بذنبه وبذلك عبر الجميع إلى الضفة الثانية للنهر.

ومن خدع المغول مع عدوهم أنهم إذا تعذر الإستيلاء على المدينة المحاصرة فكوا الحصار عنها وأعلنوا رحليهم حتى إذا أطمأن أهل المدينة وألقوا أسلحتهم عادت جيوش المغول فجأة قبل أن يحمل العدو السلاح وإستولوا على المدينة.

كما عمدوا إلى إستخدام أصحاب المهن والحرفيين فى معاونة جيوشهم فى الحروب، ويضعون أسراهم فى مقدمة جيوشهم فيكون حائلاً بينهم وبين جيوش العدو الذى يحاربونه.

كما لجأ المغول إلى خداع العدو بكثرة جيوشهم بأن يجمعوا كل عشرة من الأسرى ويجعلون عليهم أحد المغول وهم يرفعون علماً مغولياً فيتوهم العدو أنه أمام جيش مغولى كبير فينهار ويسرع بالتسليم.

وكان كذلك من عادة المغول تخويف العدو وتهديده إما التسليم أو القتل، وكانت المدينة التى تقاوم تلقى أشد أنواع العذاب والتنكيل والقتل، بغير تفرقة بين الرجل والطفل أو المرأة.

وعندما حاول چنكيزخان إصلاح ما جنت يداه فى الأراضى الإسلامية، وكان قد فات الأوان ولم يسعفه الزمان حيث فارق الحياة بعد ما ترك البلاد فى دمار شامل وبغير زاد يعيش منه الناس.

***

الحكم المدنى المغولى فى عهد خلفاء چنكيزخان

عهد چنكيزخان إلى أبنائه الأربعة بحكم البلاد التى خضعت لسلطان المغول على النحو الذى جعل من نصيب جوجى - وهو إبنه الأكبر - الأراضى الخوارزمية ومايليها غرباً فى آسيا وأوربا وبلغاريا، وشرط عليهم إحترام الأعراف التى سار عليها المغول فى عهد أبيهم چنكيزخان.

وبدأ جوجى حكم البلاد بأن أسند الحكم إلى شن تيمور وجعله نائباً عنه، وجاء شن تيمور بأربعة من الحكام أسند إليهم حكم الأقاليم المتعددة فى الدولة بينما عاش هو بعيداً عن الأقاليم، وجاء من الأقاليم الغربية للدولة الخوارزمية وهى أذربيجان وجورجيا ليحكمها «شير ماجون» وهو الذى أخضع الأقاليم قبل

ذلك في عهد چنكيزخان، وعمل الحاكم المغولي على تحصيل الضرائب من الأهالي بطريقة غير عادله بحيث يحصل على المال سواء بالطريقة المشروعة أو بغيرها حيث كان هدفه هو جمع المال بأي سبيل، وفي سبيل الحصول على ما عند الأهالي من مجوهرات ونفائس غالية إستخدم أساليب التعذيب حتى قامت ثورة بين الأهالي وإجتمع عشرة آلاف من قبيلة كانكالي في الجبال المحيطة بمدينة طوس ونيسابور ثم إنتقم الأهالي من المغول حتى سقط منهم عدد كبير من القتلى، ولكن لم تنجح الثورة وتغلب المغول على الثوار فقتلوا وشردوا منهم الكثير.

ولما رأى أجتاى خليفة چنكيزخان ما آل إليه حال البلاد بسبب تعسف شن تيمور قام أجتاى بعزل شن تيمور وجعل مكانه قائداً آخر «تايربهادور» فأراد شن تيمور أن يعود لمركزه مرة ثانية فتوسل إلى نوى النفوذ لدى أجتاى حتى قبل بإعادة شن تيمور إلى مركزه وجعله يحكم خراسان ومازندران وضم إليه خلاط ومنحه سلطة مطلقة دون سائر القادة المغول.

وبدأ شن تيمور سياسة جديدة فعين «شرف الدين» وهو رجل من مدينة يزد في وظيفة «حامل أختام» وعين في وظيفة وزير المالية «بهي الدين محمد الجويني» ويرجع هذا التعيين الذي يسند الأعمال الإدارية إلى أهالي البلاد الأصليين إلى خطة مغولية هدفها إبعاد أنفسهم عن الأعمال المدينة حتى يحافظوا على الروح العسكرية التي تسود حياتهم دائماً فلا يركنوا إلى الدعه والسكون.

وبعد وفاة القائد المغولي شن تيمور خلفه في حكم البلاد نوصال وذلك في عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م ونظراً لأنه كان كبيرا في السن لا يقدر على قيادة الحكم فقد أتى برجل من رجال القائد السابق وسلمه الحكم وترك له مطلق التصرف وكان إسمه «كورجوز».

وقد قام كورجوز هذا برسم خطة لحكم البلاد بحيث قيد من حركة الخروج على القانون ومنع الظلم، فتعدى الحكام المنحرفون لهذه السياسة التى إنتهجها كورجوز على الرغم من أنها سياسة عادلة فأهاجوا على كورجوز الكثيرين ممن يسيروا على نهجهم فى ظلم الشعب فإجتمع هؤلاء المتآمرون وعقدوا العزم على خلع كورجوز، ولكن أجتاى لم يهتم بما أثاروه هؤلاء المتآمرون على كورجوز، ولم يتعرض له بأذى وتركه فى مكانه معززاً مكرماً، فقد جعل كورجوز من طوس عاصمة خراسان مقراً لحكمه.

وبعد أن أطمأن كورجوز لمركزه كحاكم دعا حكام الأقاليم التابعة له ثم أعلن التبعية والطاعة لأجتاى خان وإن جميع القادة من الحكام يحكم ولايته بإسم أجتاى، وعلى أن السلطة الفعلية يملكها الحكام المباشرون، وبقيت لأجتاى السلطة الإسمية بحكم الأمر الواقع.

أحدث كورجوز فى بداية حكمه تغييراً لم يكن متوقعاً، فقد قام بعزل أعداد كبيرة من الحكام ممن عرف عنهم الخروج عن خط العدالة مع الأهالى من الذين عينهم «شيرماجون» فى فترة حكمه لتلك البلاد وبذلك قلت حالات التذمر من سوء الأوضاع.

وعلى الرغم من فوز كورجوز بثقة الشعب من مختلف الأجناس من الفرس والترك وحتى من الشعب المغولى نفسه لموقفه فى مقاومة الظلم ومساندة المظلومين إلا أن قوى الشر تغلبت، وبدأوا يعملون على مناهضة حركته الإصلاحية، مع أنه إستطاع إعادة تعمير مدينة طوس ومدينة هراة وإنتشر العمار وإزدحمت المدن بالسكان وكانت خراباً من قبل لسنوات طويلة بسبب الحروب المغولية أيام چنكيزخان.

وفي عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م. مات أجتاى وبقيت البلاد بغير حاكم، تولت خلالها أرملة أجتاى شؤن حكم البلاد حتى تعين كيوك فى عام ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م وقد إضطربت أحوال البلاد وسادها الأعمال الفوضوية.

وكذلك خلع كورجوز من منصبه ودبرت مؤامرة ضده قتل بعدها بغير محاكمة وكان كورجوز قد أعلن إسلامه فى المراحل الأخيرة من حياته.

ثم عين المغول مكان كورجوز حاكماً جديداً يسمى «أرغون» فقام هذا القائد الجديد بحركة إصلاحية حيث جعل همه أن يصلح ما أفسده حكام المغول المنحرفين عن الإستقامة فى سياستهم مع أهالى البلاد، فأبعد المفسدين من مناصبهم فى أذربيجان وما حولها من البلاد.

وفى عام ٦٤٦/ ١٢٤٨ توفى كيوك أى بعد عامين من حكمه، وفى عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م إعتلى مانجوخان عرش المغول وكان قد سادت الفوضى البلاد التى يحكمها المغول خلال المدة الفاصلة بينه وبين سلفه كيوك.

وفى تبرير جاءت الأبناء إلى أرغون بإعلان تبعية أسيا الصغرى وحكام سوريا، فبعث إلى تلك المناطق من يقوم بجباية الجزية، وقد أضيف إلى دولة المغول دولاً جديدة خضعت لسلطانهم فمن خوارزم وخراسان إلى أذربيجان وديار بكر والموصل وحلب وجورجيا ودولة الروم السلاجقة وأرمينية الصغرى، إلا أن أرغون إنحرف عن سياسته السابقة وأظهر تعسفاً فى حكم تلك الأقاليم ولم يمتنع الأمراء وكبار القادة من المدنيين من تحقيق أغراضه ففسدت أحوال البلاد وتعذر على الأهالى الإستجابة لرغبات الحكام من المغول فإضطروا إلى بيع أبنائهم لدفعها.

أعلن مانجوخان بعدما تولى الحكم فى البلاد بحضور جميع القادة والحكام الذين أدوا واجب الإنتخاب الجديد إلى الإجتماع والتشاور وإعادة النظر فى تعديل نظام الحكم فى البلاد الخاضعة للمغول فى جميع الأنحاء، وكلفهم بوضع خطة تساعد على إستقرار الأحوال فأجمع الجميع على ضرورة تعديل نظام الضرائب بحيث تتناسب الضريبة تبعاً لمقدرة الفرد المالية، وتم الإتفاق على تدرج الضريبة من دينار إلى عشرة على الفرد، وتقرر تحصيل ضريبة على الماشية بنسبة واحد فى المائة ومن يمتلك أقل من مائة رأس يعفى من هذه الضريبة.

وكانت تخصص هذه الضريبة لدفع رواتب الجند وسداد قيمة صيانة محطات البريد والطرق العامة، ثم أذن مانجوخان بعودة الحكام إلى مقارهم لتولى أعمالهم هناك وقد كلف أرغون بتولي بلاد فارس التى كان يحكمها بتقليد من مانجوخان.

وقد قسم المغول البلاد الإسلامية أربعة أقسام وجعل لكل قسم منها «ملك» يعينه مانجوخان وهى :-

١ - هراة والأراضى التى تليها شرقاً حتى نهر السند وهى أراض الدولة الغورية سابقاً.
٢ - كرمان.
٣ - خوارزم وأغلب بلاد خراسان.
٤ - جورجيا وأنربيجان والبلاد الخاضعة للمغول شمال العراق.

على أن مانجوخان أخذ ببقاء إعفاء رجال الدين عامة من الضرائب، كما أعضى الشيوخ غير القادرين على العمل، وتجاهل التى تراكمت على الأهالى

بسبب عجزهم عن السداد.

ثم قام الحكام المغول بحركة تعمير لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الحرب، ثم عمد مانجوخان إلى العمل على توسيع نفوذ المغول على البلاد الإسلامية التى لم يصل إليها سلطان المغول، فبعث أخاه الأصغر «هولاكو» لقتال طائفة الإسماعيلية والخلافة العباسية فى بغداد، وقد تمكن هولاكو فعلاً من القضاء على الطائفة الإسماعيلية بأن خرب حصونها وغزا بغداد وشرد حكامها.

***

ظهور هولاكو فى الغرب الآسيوى

قبل أن يبدأ هولاكو - حفيد چنكيزخان صلاته الحربية فى الغرب الآسيوى جمع تحت لوائه ألف مهندس صينى لإستخدامهم فى إقامة المجانيق وقذف اللهب على المدن التى يحاصرها، كما أنه فرض على المدينة التى يمر بها وهو متجهاً إلى فارس لتعد لخيوله ما تحتاجه من العشب والكلأ لإطعام خيوله.

كما أصدر أوامره بإصلاح الطرق وبناء القناطر على الأنهار، وكلف حكام المغول فى فارس بتقديم المؤن لجيوشه المتجة إليهم.

وقد إستعد المغول حربياً قبل بدء المعركة وسياسيا عندما عقدوا حلفاً مع المسيحيين فى غرب آسيا لمواجهة الخليفة العباسى فى بغداد، وقد رحب المسيحيون بالمغول عندما أسرع هيثيون «ملك أرمينية» وبوهيمند السادس أمير أنطاكية بتقديم الجزية إلى مانجوخان الذى رحب بهذه الخطوة وأعلن أنه يريد هزيمة الخلافة العباسية، ويحرر بيت المقدس ليعيده إلى المسيحيين.

وفى عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م قدم إلى سمرقند ثم غادرها واتجه إلى كيش

من بلاد ماوراء النهر ثم إلتقى مع أرغون الحاكم المغولى فى بلاد فارس وبقى مدة شهر فى ضيافة أرغون.

بعث هولاكو إلى أمراء غرب آسيا يحثهم على أن يبعثوا إليه بالإمدادات لقتال الطائفة الإسماعيلية وقد رحب سلاجقة الروم وحكام أتابكية فارس وبدأ هولاكو فى إرسال الحملات الحربية لقتال الإسماعيلية فى حصونهم، ثم إستولى على قلعة «ألموت» وقتل هولاكو سيد قلعة ألموت «ركن الدين خورشاه»، بعد أن إستكتبه كتاباً لقواده فى حصون الشام يأمرهم بتسليم تلك الحصون إلى المغل وكان المغل - أى المغول - قد حاصروا بالفعل أربعة من تلك الحصون بمجرد ظهورهم فى الشام عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م ولكن سرعان ما إستعادها أصحابها عند إنتصار «قطز سلطان المماليك، وفتح هذه الحصون فتحاً تاماً السلطان «بيبرس» فيما بين سنتى ٦٥٨و٦٧١هـ/ ١٢٥٩و ١٢٧٢م. ومنذ ذلك التاريخ أقر الإسماعيلية بالخضوع لسلطان مصر وقدموا رجالهم إلى الولاة الذين رغبوا فى إستخدامهم.

ولما تمكن هولاكو من التغلب على الإسماعيلية إتجه للقضاء على الخلافة العباسية فى بغداد.

الفصل السادس

سقوط المغول في عين جالوت بأرض فلسطين




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل السادس

سقوط المغول في عين جالوت بأرض فلسطين

ففى عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م بعث هولاكو - حفيد جنكيزخان - إلى الخليفة المعتصم يهدده ويتوعده ويطلب إليه تسليم نفسه والبلاد، وفى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م تم حصار بغداد من جميع الجهات ثم سقطت بغداد فى أيدى المغول.

ثم إتجه نظر هولاكو بعد ذلك إلى الشام ومصر وبدأ هذه الخطوة بإرسال خطاب تهديد إلى حكام الشام ومصر، وفى عام ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م وصل هولاكو إلى حلب - وهى مفتاح الشام - ثم إضطرته الظروف للعودة إلى بلاده بعد أن سلم القيادة لقائده كتبغاً وكان عظيماً عند المغول يعتمدون على رأيه وشجاعته وكان بطلاً شجاعاً مقداماً خبيراً بالحروب، وإفتتح الحصون واستولى على الممالك، وهو الذى فتح معظم بلاد العجم والعراق.

ترك هولاكو لقائده كتبغاً إتمام مهمته الحربية فى الشام ومصر، وإتجه كتبغاً نحو مصر، وبعث بخطاب تهديد إلى مصر والمصريين لتسليم بلادهم وكان سلطان مصر فى ذلك الحين هو المظفر قطز الذى ولى السلطنة فى عام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م.

وعندما تقدم المغول ودنوا من حلب قوى عزم الملك الناصر على لقاء المغول فجمع قواده وإجتمع بهم فى «برزه» - وهى قرية بالغوطه شمالى دمشق - وكان معه الأمير بيبرس ثم بعث الناصر بأهله إلى الكرك ويعث إلى قطز سلطان مصر طلباً للنجدة، ثم بعث قطز بخطاب إلى الملك الناصر إطمأنت بهنفس الملك الناصر وإجتمع مع الملك الناصر نحو مائة ألف مابين عرب وعجم ولكن لإختلاف

الكلمة بين الجيوش إنسحب الملك الناصر صاحب دمشق إلى الكرك، وإستعان ببعض العرب، فتعقبه المغول وأرادوا الإنتقام من العرب إلا أن العرب قاموا بالهجوم على خيل جشارهم فى - بنل راهط - فى نصف شعبان من عام ٦٥٨هـ/ يوليو ١٢٦٠م فأطلقوها بأسرها فأسرع إليهم المغول فلم يدركوهم.

وأما الأمير بيبرس فإنه إنسحب من الناصر وإتجه إلى القاهرة وإنضم إلى قطز لقتال المغول، وإنضم إليه أيضاً الملك المنصور صاحب حماه.

وفى ١٥ شعبان خرج السلطان قطز بجيش من مصر للقاء المغول فى الشام ومعه الأمير ركن الدين بيبرس والمنصور صاحب حماه ومن إنضم إليهم من عسكر الشام ومن العرب والتركمان وإستدعى السلطان عرب مصر من البلاد الشرقية والغربية، وأنفق على الجيوش من المماليك والعرب بعد أن إجتمع بهم فى الريدانية شمال القاهرة، وذلك أن قبائل العرب فى مصر يعدون من جيش الدولة المملوكية، كذلك فإن القبائل العربية فى الشام عنصر هام ومؤثر فى البلاد منهم بنونعير وهم من آل فضل عرب الشام وبلغ عددهم وحدهم أربعة وعشرون ألف مقاتل، فضلاً عن قبائل الشام الأخرى من آل مراء وآل على وبنى عقبة وبنى مهدى والعائذ وغيرهم، وجميعهم ممثلون فى جيش الشام.

وأما عرب مصر الممثلون فى جيش الدولة فإن عدهم بلغ أربعة وعشرون ألف مقاتل من عرب هوارة فضلاً عن قبائل أخرى بلغ عدد فرسانهم نحو ثلاثة آلاف فارس.

وبعد أن إكتمل عدد الجيوش العربية فى الصالحية، أصدر السلطان قطز أمره إلى الأمير بيبرس بالتوجه إلى غزه للإستطلاع، فتوجه بيبرس إلى غزه

وكان بها جموع المغول، وكان العرب فى نفس الوقت الذى خرجت فيه الجيوش من مصر لقتال المغول بالشام يشنون الغارات على معسكرات المغول بالشام ويستولون على خيولهم، فإذا أحس المغول بالعرب أسرعوا خلفهم ولكنهم لا يدركوهم، ولا يستطيعوا أن يستردوا من أسلابهم شيئاً، فلما سار السلطان قطز وقائد جيشه بيبرس ومن كان معهم من العرب من مصر فى شعبان من عام ٦٥٨هـ/ يوليو ١٢٦٠م إلى غزة ووصلت طائفة إليها خرج منها المغول وإستولى بيبرس عليها، ثم تقدم السلطان إلى غزة وبقى بها يوماً ثم رحل عنها إلى عكا ماراً بطريق الساحل.

أما المغول فكانوا فى البقاع، وبلغ كتبغا قائدهم نبأ إجتماع جيش مصر فى مرج عكا فأصدر أمره بجمع من فى الشام من المغول للقاء المسلمين فى الغور، كما إنضم إلى المغول بعض حكام الشام مثل الأشرف صاحب حماة، وقد بعث إليهم السلطان قطز يستميلهم إليه فجاء رد الأشرف صاحب حماه بالإيجاب، ووعده بخذلان المغول عند اللقاء.

وإلتقت طلائع جيش المماليك ومن معهم من العرب وغيرهم بقيادة الأمير ركن الدين بيبرس مع طلائع المغول، وكانت جيوش المغول قد إجتمعت فى أرض البقاع بقيادة كتبغا والمسلمون فى عكا بقيادة السلطان قطز إستعداداً للمعركة الفاصلة، وبعث كل فريق بطلائعه فإلتقت طلائع المسلمين بطلائع المغول فهزمت طلائع المسلمين المغول.

ثم بدأ الفريقان يتحركان من مواقعهما وفى ٢٥ رمضان عام ٦٥٨هـ/ أغسطس ١٢٦٠م إلتقى الجمعان بالغور على عين جالوت بأرض فلسطين.

وعندما بدأت المناوشات والتحم الجيشان إضطربت ميسرة المسلمين عندئذ إشتد حماس السلطان قطز وحمل حملة صادقة فى طاعفة عظيمة من المسلمين على المغول وتحيز الأشرف صاحب حماه - كسابق وعده للسلطان قطز - فإنهزم المغول وقتل أميزهم كتبغاً فى المعركة وولوا ظهورهم للمسلمين يقتلونهم فى كل مكان ومنهم من فرإلى رؤس الجبال فتتبعهم المسلمون فأفنوهم.

وقد قدم السلطان قطز عقب إنتهاء المعركة فى عين جالوت - بأرض فلسطين - إلى أبطال المعركة وقادتها من أهل الشام من أمراء العرب وغيرهم المكافأة تقديراً لبسالتهم فى قتال المغول وأعاد المنصور صاحب حماة إلى حماه وأضاف إليه المعره وكانت قبلها تابعة لحلب وغيرها وأعاد الملك الأشراف صاحب حمص إلى حمص ومنح مدينة سلمية للأمير عيسى بن مهنا أمير العرب مكافأة له لبسالته في المعركة.

وهكذا بفضل تعاون المماليك وقبائل العرب فى الشام ومصر، ونجح المماليك والعرب فى إيقاف سيول المغول الجارفة التى إجتاحت حدود العالم الإسلامى والعربى من الشرق إلى الغرب آلاف الأميال عائق أو مانع ومكنتها الظروف من نسج أسطوره لاقهر إلى أن فوضها المماليك والعرب فى عين جالوت - بأرض فلسطين - وعادت مصر والشام كما كانت فى عهد السلطان صلاح الدين دولة واحدة، هى دولة سلاطين المماليك التى إستطاعت بفضل جهود بعض أمراء عرب الشام إحياء الخلافة العباسية، وجعلت من القاهرة مقراً لها وتتبع المسلمون المغول بقيادة الأمير بيبرس يطاردونهم إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، كما فر من برمشق من المغول بعد سبعة شهور وعشرة أيام من إحتلالها.

وعلم هولاكو بهزيمة جيوش المغول وإنسحابها من الشام فعزم على العودة إلى الشام يحاول إستعادتها من أيدى المسلمين، فهزموا، والتقي المغول والمسلمون فى معركة قرب بيسان - وتقع جنوب طبرية - وكانت تتبع دمشق - عقب معركة عين جالوت فهزم المسلمون المغول للمرة الثانية.

ثم أقبل الأمير بيبرس يبعث بالجنود فى كل ناحية من ثغور الشام ويزودهم بالذخيرة والسلاح حتى عجز المغول عن مواجهة أهل الشام وولوا الأدبار منسحبين، بعد أن أطلقوا جميع الأسرى غير الغنائم والسلاح.

إستولى السلطان قطز على جميع بلاد الشام من الفرات إلى مصر ورتب أحوال الشام وعين عليها النواب والولاة ثم خرج من دمشق فى ٢٦ شوال من عام ٦٥٨/ سبتمبر ١٢٦ يريد القاهرة، وفى ٢٥ ذى القعدة عام ٦٥٨/ أكتوبر ١٢٦٠ إعتلى بيبرس عرش السلطنة المملوكية على أثر خلاف وقع فى صفوف أمراء المماليك، وتأثرت الأحوال السياسية فى بلاد الشام ومصر مما شجع المغول على معاودة الكرة متوهمين ضعف الموقف الداخلى فى البلاد، ومحاولين إستغلال الظروف الجديدة للحصول على نصر سريع يمسحون به وصمة عار عين جالوت.

ففى ٥ محرم من عام ٦٥٩ / ديسمبر ١٢٦٠ عاود التتار الهجوم على الشام وتقدموا نحو حمص وهم فى ستة آلاف، فخرج إليهم الأشرف صاحب حمص والمنصور صاحب حماه فى ألف وأربعمائة فارس، وتقابل الفريقان بظاهر حمص وإنتصر المسلمون على المغول وفر بيدرا قائد المغول منهزماً .

وقد ذكر المقريزى أن معركة حمص هذه كانت على الرستن بين حماه وحمص وأن عرب آل فضل أميرهم زامل بن على شاركوا فى القتال ضد المغول فى هذه المعركة.

وفى أواخر عام ٦٥٩/ ١٢٦١ خرج الإمام أحمد الذى تقلد منصب الخلافة الإسلامية ولقب المستنصر وبتنصيبه تم إحياء الخلافة العباسية فى مصر.

خرج الإمام على رأس حملة عسكرية أنفق عليها السلطان بيبرس مائة وستون ألف ريال للتوجه لتحرير بغداد من المغول، وإنضم إلى تلك الحملة من قبائل عرب الشام، عرب آل مهنا، ومن حكام شمال العراق الملك الصالح حاكم الموصل والمجاهد إسحاق حاكم الجزيرة وحاكم سنجار ونحو سبعمائة فارس من التركمان وغيرهم.

وتوجه الخليفة وجنوده إلى بغداد وإلتقوا مع المغول قرب الأنبار، وتقع على الفرات غرب بغداد وذلك فى أوائل المحرم عام ٦٦٠/ نوفمبر ١٢٦٢ إلا أن الحملة فشلت فى مهمتها وعادت فلولها منهزمه ولم يعد المستنصر إلى القاهرة.

والواقع أن الحملة العسكرية التى قادها الخليفة المستنصر لمهاجمة المغول فى بغداد على الرغم مما أنفق عليها فإنها لم يكن فى إستطاعتها التغلب على المغول إذ أنها تحتاج إلى إمدادات متصلة من الجنود والسلاح وذلك أن الحملة هزمت المغول أولاً، ثم خرج على الحملة كمين من المغول، فلم يصمدوا أمام المغول غير قليل ثم تفرقوا ولم يعرف للخليفة مكان.

وقد كانت العرب تكلف بشن الغارات على الأعداء كما كانت تقوم بدور الطلائع لإستكشاف أخبار الأعداء من المغول والصليبيين، ومعرفة تحركاتهم وتتبعها، وقد إستعان السلطان بيبرس فى حروبه ضد أعدائه من المغول والصليبيين بقبائل العرب بإعتبارهم من جنود الدولة يقاتلون فى صفوف الجيش فى الحروب ضد الأعداء.

وفى جمادى الأولى من عام ٦٧١/ نوفمبر ١٢٧٢ كلف السلطان بيبرس - وكان مقيماً بدمشق - جماعة من فرسان العرب فى الشام مع جماعة من فرسان المماليك بالتوجه إلى الرحبه لتقص أخبار المغول، وخرج السلطان من دمشق واتجه إلى حلب ثم إلى منبج فى شمال شرق حلب لمتابعة أخبار المغول بنفسه، وعادت الطلائع تحدد موقع المغول وعددهم فخرج السلطان على رأس حملة عسكرية وتقابل جيش المماليك مع جيش المغول على شط الفرات فقتل منهم عدداً كبيراً وأسروا نحو مائتين وكان على البيره مجموعة كبيرة من المغول، وعندما علموا بأخبار إنتصار الجنود المماليك على الفرات أسرعوا بالإنسحاب عائدين فوصلها السلطان بجنوده فى أواخر جمادى الأولى وخلع على نائب البيره وفرق على أهلها مائة ألف درهم، غير ما قدمه لهم من الغنائم التى تركها المغول عند إنسحابهم منها، تقديراً لإستبسالهم فى الدفاع عن مدينتهم ضد المغول.

وفى شعبان من عام ٦٧٣ / فبراير ١٢٧٤ كلف السلطان بيبرس الأمير مهنا بن عيسى مع أحد قادة المماليك بشن غارة على بلاد المغول وتخريب ثغورهم، وقد نجحت الحملة فى مهمتها، ثم عبرت الحملة الفرات عائدة إلى الشام.

وفى جمادى الأولى من عام ٦٧٤/ نوفمبر ١٢٧٥ فتح السلطان بيبرس حصن القصر - ويقع بين حارم وأنطاكية - وذكر إبن تغرى بردى أن السلطان بيبرس كان قد كلف جماعة من فرسان العرب والتركمان بمحاصرة الحصن قبل إقتحامه، وتعد معركة حمص الثانية من المعارك الفاصلة فى التاريخ، ففى جمادى الأولى من عام ٦٨٠/ إغسطس ١٢٨١ فى عهد السلطان قلاوون وردت للسلطان أخبار بمجئ المغول يريدون مهاجمة بلاد الشام فأسرع السلطان بالإستعداد لقتال المغول وأصدر أوامره بالتعبئة، وجمع الجنود وسائر البلاد وأجتمعت قبائل

الشام من آل عيسى بن مهنا وآل فضل وآل مرا وعربان الشام ومن أنضم إليهم وجعلوا من فرسان العرب ميمنة الجيش وجعلوا رأس الميسرة جموع التركمان وجنود حمص الأكراد، ثم وردت للسلطان قلاوون قبل بدء المعركة معلومات هامة عن جيش المغول منها أن عددهم ثمانون ألف مقاتل بينما ذكر إبن تغرى بردى أن عدد جيش المغول بلغ مائة ألف مقاتل وأن عدد جيش المسلمين كان النصف من ذلك.

وفى ١٦ جمادى الأخر من عام ٦٨٠/ سبتمبر١٢٨١ خرج السلطان قلاوون من دمشق إلى حمص، وفى حمص علم السلطان بقدوم جيش المغول، حتى وصلوا إلى حماة ثم تقدمت فرق المغول وكانوا ضعف جيش المسلمين، ولم يسبق لهم أن حشدوا مثل هذا العدد، وفى ١٤رجب من نفس عام ٦٨٠/ أكتوبر ١٢٨١ إلتقى الفريقان بوطأة حمص، قريباً من مشهد خالد بن الوليد فإندفعت ميسرة المغول مقابل ميمنة المسلمين بضراوة شديدة فثبتوا ثبوتاً عظيماً، وإندفعث ميمنة المسلمين مقابل الميسرة حتى هزمتها، ووصلوا إلى القلب وبه منكوتمر قائد المغول وإجتمع قلب جيش المسلمين مع الميمنة، وكان يقودها عيسى بن مهنا وهاجموا منكوتمر قائد المغول حتى إضطروه إلى الفرار منسحبا من المعركة، وهذا بينما تمكنت ميمنة المغول من التغلب على الميسرة بجيش المسلمين وساقوا خلفهم حتى دخلوا حمص، وبعض الشام ولم تعلمميسرة المسلمين بإنتصار الميمنة، ولا علم المغول بهزيمة ميسرتهم.

ثم علم المغول الذين توغلوا فى بلاد الشام بهزيمة منكوتمر وإنسحابه فاسرعوا بالإنسحاب عائدين لبلادهم تاركين وراءهم من الخيول والسلاح مالا يحصى غنائم للمسلمين.

وفى عام ٧٠٢/١٣٠٢ فى عهد السلطان محمد بن قلاوون كانت معركة مرج راهط - شرقى الغوطة - بين المغول والمسلمين، وذلك أن المغول تسللوا فى حلب وأعلنوا أنهم قدموا لشراء بعض ما يلزمهم من الطعام حيث أصاب بلادهم الجدب حيلة منهم وخديعة فبعث نائب حلب بخبرهم إلى السلطان، فأعلنت القاهرة التعبئة، فأجتمعت قبائل عرب جبل نابلس وعرب مصر وبلغ عدد الجيش من المماليك والعرب نحو مائتى ألف بينما كان عدد المغول مثل ذلك العدد أو أكثر ثم تلاقى الجيشان على مرج راهط شرقى الغوطه وإشتد القتال بين المسلمين والمغول ثم إنتهت المعركة بإنتصار المسلمين وأسروا من المغول نحو الثلث وإستشهد كثيرون من الجنود المماليك والعرب، ثم عاد السلطان محمد بن قلاوون من أرض المعركة متجها شمالاً إلى دمشق يرافقه الخليفة العباسى المستكفى بالله والقضاه فأقام بها أيام، ثم عاد إلى القاهرة يسبقه إليها الغنائم والأسرى من المغول.

***

غزو المغول بقيادة تيمورلنك لبلاد الشام

ولما إجتاحت جيوش المغول بقيادة تيمورلنك بغداد فى عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م ووصلت أخبارهم إلى السلطان المملوكى فى مصر، أصدر أوامره إلى نواب دمشق وطرابلس وصفد للتوجه بقواتهم إلى حلب للدفاع عن البلاد ضد المغول المهاجمين وفى عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م تقابل جيش الشام مع جيش تيمورلنك فى شمال حلب فتغلب عليهم جيش تيمورلنك فى وإكتسحت جيوشه مدينة حلب ثم حماة.

وعلى الرغم من أن أخبار تيمورلنك وصلت إلى السلطان فرج إلا أنه تغافل عنها حتى تمكن تيمورلنك من البلاد ثم بدأ السلطان فى الإستعداد وإعداد الجيش لملاقاة جيش تيمورلنك فخرج فى ربيع الآخر من عام ٨٠٣/ ديسمبر ١٤٠٠ من القلعة فى موكب عظيم، وإتجه رأساً إلى الريدانيه ثم إلى غزه، وفي ربيع الآخر أيضاً خرج من غزه إلى دمشق وفى دمشق وردت الأخبار إلى الناصر فرج، بأن الأمير رمضان أمير التركمان تمكن من طرد جنود تيمورلنك من حلب.

كما وردت الأخبار إلى دمشق بأن عرب جبل نابلس قتلوا جماعة كثيرة من جنود تيمورلنك الذين كانوا فى طريقهم إلى طرابلس بأمر من تيمورلنك وكان مقيماً بالقرب من سلمية ثم ضلوا الطريق وتاهوا بين الجبال فتمكن منهم عرب نابلس فقتلوا كثيرا بالنشاب والحجارة وفر الباقون.

وفى جمادى الأولى من عام ٨٠٣/ يناير١٤٠١ وكان الناصر فرج مقيماً بدمشق ظهر جماعة من جنود تيمورلنك بلغ عددهم نحو ألف فارس فخرج إليهم جماعة من مماليك السلطان فى نحو مائة فارس وتقابل الفريقان فإنهزم جنود تيمورلنك وإنسحبوا مسرعين.

وفى جمادى الآخر من نفس العام لم يستطع الجيش المملوكى التغلب على تيمورلنك وإضطر إلى العودة إلى القاهرة، ولما قوى عزم السلطان ثانية لطرد تيمور لنك، وإجتمع معه من أمراء العرب فى الشام الأمير نعير بن حيار أمير آل فضل وكثيرا من عرب حارثة ومن قبائل الشام وإجتمع على السلطان الناصر فرج من قبائل عرب الشام خمسة آلاف فارس من عرب آل فضل، ومن قبائل عرب مصر ستة آلاف من عرب البحيرة وألف وخمسمائة فارس من عرب بنى وائل وخمسمائة فارس من عرب الشرقية فصار عدد الفرسان الذين إنضموا إلى

جيش السلطان فرج سبعة آلاف من فرسان العرب ومصر، وبعد أن صرف السلطان مرتبات الجنود إستعد للعودة للشام للقاء تيمورلنك.

فى جمادى الأولى كان تيمورلنك قد إتجه إلى دمشق بجيشه فأسرع أهلها بإغلاق أبوابها وتسلقوا الأسوار، وبدأوا يقاتلون جيش تيمورلنك من خلف أسوار دمشق، وقد إشتد القتال وإستطاع الأهالى أن يقتلوا فى تلك المعركة نحو ألفين من جنود تيمورلنك.

ولما لم يجد تيمورلنك سبيلاً إلى التغلب على المدينة بالقتال لجأ إلى إستخدام الحيلة بطلب الصلح بقصد الخدعة وكاد أهل دمشق أن يرفضوا الصلح مع تيمورلنك ولكن إنقسموا فريقين وأخيراً تغلب الفريق الذى يرأسه القاضى إبن مفلح وهو الذى خدعه تيمورلنك عندما إجتمع به للصلح وهو يضمر الشر للمدينة وأهلها لأنه كان مخادعاً يظهر غير مايبطن وصار تيمورلنك يتلطف فى القول مع إبن مفلح وقد كان معه من أعيان دمشق وكانوا خمسة أمراء حتى قبلوا أن يفتحوا له ولجيشه أبواب دمشق، وفتحت أبواب دمشق للأعداء بغير قتال، أما قلعة دمشق فظلت تقاتل ضد الغزاة مدة شهر تقريباً، ثم سلمت القلعة والمدينة بأسرها.

وفى رجب من عام٨٠٢/ مارس١٤٠١ كانت دمشق تحت سيطرة تيمورلنك، وصاروا يعملون فى السلب والنهب والقتل والأسر دون تفرقة بين الأطفال الرضع والعجائز حتى رحلوا عنها فى شعبان من عام٨٠٢/ إبريل١٤٠١، ثم بعث تيمورلنك كتاباً إلى السلطان فرج يعتذر له عما حدث وسأله الإفراج عن أحد رجاله المعتقلين بالقاهرة مقابل إفراج تيمورلنك عن جميع من عنده من الأسرى، ثم نفذ الطرفان الإتفاق وأفرج عن جميع الأسرى مقابل الإفراج عن الأسير الذى كان معتقلاً بالقاهرة.


http://www.al-maktabeh.com

الفصل السابع
ظهور تيمورلنك فى آسيا الصغرى

* موقعة أنقرة بين بايزيد وتيمور


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل السابع

ظهور تيمورلنك فى آسيا الصغرى

فى عام ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م ظهر تيمورلنك بعد تعرض العثمانيون لأمير أرزنجان الأرمنى حيث كان تيمورلنك يرى أن أرزنجان تتبعه، فهاجم تيمورلنك سيواسى وقتل حاميتها وكان فيهم أرطغرل أكبر أبناء بايزيد، ولم يواصل تيمورلنك حملته ضد العثمانيين، وإنما إتجه فى عام ٨٠٤-٨٠٥هـ/ ١٤٠١-١٤٠٢م إلى قرة باغ فيما وراء القوقاز ليقضى الشتاء فيها، وفى تلك الفترة كان يعد عدته لمعركة قادمة ضد العثمانيين.

موقعة أنقرة بين بايزيد وتيمور

فى عام ٧٠٥/ ١٤٠٢ بدأ المغول هجومهم على أنقره فتقدموا ناحية سهل أنقره من أرزنجان وتوقات وسيواس وإستعد بايزيد الأول لملاقاة المغول عند (جيوق أباد) وتقابل الجيشان فى صحراء أنقره والعثمانيون فى ثلاثمائه ألف والمغول فى سبعمائة ألف، وإنهزم العثمانيون حيث رفض بايزيد ما أشار عليه به تيمور طاش وبقية الأمراء بعدم محاربة تيمورلنك والإكتفاء بسد المضايق والطرق وإهلاك عسكر تيمورلنك جوعاً وعطشاً فرفض بايزيد رأيهم.

ومن غير شك فلم يكن حماس الجنود العثمانيين لقتال المغول بنفس حماسهم لقتال البيزنطيين، فالمغول كانوا مسلمين كذلك لم يكن الجنود السلاجقة على إستعداد لمواصلة القتال ضد المغول بعدما رأوا قادتهم من السلاجقة يقاتلون فى صفوف المغول، هذا فضلاً عن الفرق الهائل بين جيش تيمورلنك وجيش العثمانيين.

وحينما بدأت المعركة بين الطرفين ورأى بايزيد تقدم الجنود الصرب في مواجهة العدو وخشى أن يطوقهم جيش المغول فأمرهم بايزيد بالإرتداد وحينئذ تقدم المغول في إتجاه الجيش العثماني فأسرع السلاجقة بالفرار من الميدان، وواجه بايزيد الموقف يقاتل المغول وهو في خمسة آلاف من الإنكشارية ببسالة حتى جاء الليل، وقد رأى بايزيد أنه لا جدوى من المقاومة فلجأ إلى الفرار، ولكنه وقع هو وإبنه فولي في أسر المغول بينما لجأ والداه الأخران محمد وعيسى إلى قرمان وأحسن تيمور معاملة بايزيد وهو في الأسر، فلما حاول بايزيد الهرب وفشل، تغير تيمور لنك منه وعامله بقسوة بالغة.

وفي عام ٨٠٦/ ١٤٠٣ توفي بايزيد في الأسر فأمر تيمور لنك بدفنه في جامع بروسه، أما الأمراء السلاجقة فقد أعادهم تيمورلنك إلى إماراتهم في آسيا، وعاد هو متجهاً إلى الشرق حيث مقر إقامته في سمرقند.

ثم فاجأه الموت وهو في أترار حيث كان يقود حملة عسكرية في بلاد الصين وإسترد العثمانيون أنفاسهم من جديد.

الفصل الثامن
غزوات العرب والمسلمين
ضد المغول والصليبيين

الإسلام والمغول.

المسيحية وحكام ايران من المغول

دور ايلخانات ايران في نصرة الإسلام

فشل مسيحيو أوربا في جذب حكام إيران المغول إلى صفهم

أسباب انتصار المسلمين وحماية الشام وفلسطين من المغول والصليبيين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثامن

غزوات العرب والمسلمين ضد المغول والصليبيين

لقى المغول الهزيمة لأول مرة فى تاريخهم أمام جيوش مصر والشام فى عين جالوت بفلسطين ولكنهم لم يستسلموا للهزيمة وظلوا يحـربون العرب والمسلمين فى أرض الشام، وتكرر هزيمة المغول على أرض الشام فبعد هزيمتهم أمام قطز، وبيبرس تكررت هزيمتهم أمام قلاوون ومحمد بن قلاوون فى حمص وفى مرج راهط ..

وبعد أن تغلب العرب والمسلمون على المغول إتجهوا إلى الجبهة الثانية إلى صليبى الشام وحاربوهم حتى أخذت مدن الشام تسقط فى أيدى العرب والمسلمين واحدة بعد أخرى، لقد كثرت غزوات سلاطين المماليك ضد الصليبيين وكان للقبائل العربية الشامية دور مؤثر فى تلك الغزوات ومن أمثلة ذلك حصار عكا الذى قامت به حملة فرسان العرب بالإشتراك مع جماعة من فرسان التركمان بأمر من السلطان بيبرس فى جمادى الأولى من عام ٦٦٣/ مارس١٢٦٥ وعادت بأسرى من الفرنج.

وظلت تلك الغزوات المملوكية العربية مستمرة ضد الصليبيين حتى تكاملت فتوح بلاد الساحل بأجمعها فى عهد الأشرف خليل بن قلاوون فى عام ٦٨٩-٦٩٣/ ١٢٩٠-١٢٩٣، ففى ربيع الآخر من عام ٦٩٠/ إبريل ١٢٩١ كان حصار عكا الذى إنتهى بسقوطها فى ١٧ جمادى الأولى من نفس العام فى أيدى المسلمين، وقد ذكر إبن تغرى بردى أن المتطوعين من العرب فى حصار عكا كان يزيد عن عدد الجيش المملوكى.

كذلك ذكر ابن إياس أن الصليبيين فى عكا كانوا قبل فتحها يقطعون الطريق على المسافرين ويستولون على أموال التجار ويقتلون كل من لا قوة من المسلمين وكانت عكا آخر مدينة حصينة بالشام إنتزعها المسلمون من الصليبيين.

ومن المعارك الحربية التى وقعت في الشام أيضاً وتكشف أحداثها عن الدور البطولى لأهالى الشام فى الدفاع ضد أعداء البلاد من الصليبيين وغيرهم معركة طرابلس التى حدثت فى عام ٧٦٩/ ١٣٦٧ فقد هاجم الصليبيون طرابلس فى تلك السنة وهم فى نحو مائتى مركب حربى هاجموا المدينة فى غيبة من نائبها وتغلبوا على جنود المدينة الذين ضعفوا عن الدفاع عنها فدخلها الفرنج ونهبوا أسواقها، وقتلوا نحو ألفين من أهلها.

وسرعان ما إنتشرت أخبار هذا الغزو فى أنحاء الشام، فأقبل الأهالى بأسلحتهم وعتادهم وإشتبكوا مع الفرنج المهاجمين فى قتال شديد وطاردوهم حتى أخرجوهم من طرابلس بعد أن قتلوا منهم جماعة كثيرة، وكانت هزيمة الفرنج ساحقة.

وقد إستطاع سلاطين المماليك مواصلة جهادهم ضد المغول فى الشرق والصليبيين في الغرب حتى تمكنوا من بسط سلطانهم على بلاد الأرمن وفرض الجزية عليهم، بعد أن كانوا يدفعونها إلى المغول.

وكذلك تمكن المماليك من إخراج الصليبيين من جميع الساحل الشمالى، وقد شاركت العرب فى الشام ومصر فى أهم تلك المعارك الحربية فى الشرق أو فى الغرب على السواء، وقد بدأت المشاركة العربية فى تلك الحروب منذ معركة عين جالوت، أول وأخطر المعارك الحربية فى العالم فى ذلك الحين وحتى آخر تلك المعارك فى مرج دابق فى شمال الشام.

وفى الريدانية فى شمال القاهرة بل أن القبائل العربية فى الشام منهم من شارك فى المعارك الحربية البحرية خارج أرض الشام، وذلك مثل بنى بحتر أمراء العرب وهم من تنوخ عرب الجنوب الذين كانت لهم بطولات فى أشهر المعارك الحربية ضد المغول.

أما جهادهم ضد الصليبيين على السواحل الجنوبية الشامية فإنهم إستقروا مقيمين فى بيروت ساهرين على حراسة سواحلها منذ الإستيلاء عليها فى عهد الأشرف خليل عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م،

وشكل أمراء بنى بحتر هؤلاء قوة حراسة من تسعين فارس قسموا أنفسهم ثلاثة أبدال يتبادلون الحراسة كل ثلاثين فارس يقيمون شهراً فى الحراسة ثم يستبدلون الحراسة مع جماعة أخرى تحل محلهم كذلك شارك بنو بحتر فى الحملات الحربية البحرية لغزو قبرص فى عهد الأشرف برسباى فى عام ٨٢٨هـ/ ١٤٢٥ وفى عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦ أعلن السلطان برسباى الجهاد العام وإستجاب الكثيرون من المتطوعين من الأهالى فى الشام ومن مصر أيضاً ثم توجهت الحملة فى أكثر من مائة سفينة حربية لغزو جزيرة قبرص وتمكنت تلك الحملة من فتح قبرص وأسر ملكها، كذلك شارك المطوعة من أهالى البلاد فى عهد كثير من المعارك الحربية ضد رودس فى عهد السلطان جقمق.

وحينما ظهر التهديد العثمانى لحدود الشام الشمالية كانت فرسان القبائل العربية تستدعى للمشاركة فى مواجهة ذلك التهديد للدفاع عن البلاد.

ومن أمثلة ذلك ما حدث فى عهد الأشرف قايتباى فى جمادى الآخرة من عام ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م عندما حشد العثمانيون جيشاً كثيفاً على حدود حلب وذلك

أثر هزيمتهم فى حلب فى صفر من نفس العام وقتل نحو أربعين ألف فارس منهم وأسر جماعة من أمرائهم، وفى المحرم من عام ٨٩٢/ ديسمبر١٤٨٦ تم عقد صلح بين المماليك والعثمانيين، بمقتضى ذلك الصلح ثم إعادة الأسرى العثمانيين لبلادهم، وفى شهر ربيع الأول من عام ٨٩٥/ ١٤٨٩ ظهرت الحشود العثمانية فى شمال حلب وإستدعى فرسان من العرب للإستعداد لمواجهة تلك التهديدات العثمانية.

ولم يتخلف العرب فى الشام ومصر عن المشاركة فى هذه المعركة أو فى مختلف العهود فى عصر سلاطين المماليك عن الوقوف مع الجيش المملوكى للدفاع عن البلاد وتتبع الأعداء ودحرهم فى عقر دارهم.



الإسلام والمغول

إعتنق كورجوز حاكم فارس من قبل أجتاى خان، الديانة الإسلامية فى أواخر عهده، بعد إعتناق بركة خان القبيلة الذهبية ٦٥٤-٦٦٦هـ/ ١٢٥٦-١٢٦٧م للعقيدة الإسلامية أول نصر حقيقى للإسلام خاصة بعد أن تبعه السواد الأعظم من رعيته، حتى أن كل رجال جيوشه كانوا مسلمين وهم مغول وتبع ذلك توثيق الروابط السياسية بين بركة خان ٦٥٤-٦٦٦هـ/ ١٢٥٦-١٢٦٧م وبيبرس سلطان مصر ٦٥٨ - ٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م وتحالف كلاهما ضد أسرة هولاكو فى فارس.

ولما إنتشر المغول فى بلاد الصين وإعتنق بعض ملوكهم دين الإسلام فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، وجعلوا (مدينة كاشغر غرب الصين

عاصمة لدولتهم الجديدة وقد أشير على ملك الصين المغولى بركة خان زعيم القبيلة الذهبية بمهادنة الخليفة المستعصم العباسى ٦٤٠-٦٥٦/ ١٢٤٢-١٢٥٨م وتبودلت الهدايا والرسائل بين أكبر دولتين إحداهما الصين وعاصمتها كاشغر والأخرى دولة بنى العباسى وعاصمتها بغداد ثم صار الخان لقباً على ملوك الصين، وصارت (خان بالق) التى هى بكين قاعدة المملكة الصينية وقراقوم قاعدة المغول وعاصمتهم.

ولما إنتشر العنصر المغولى المسلم فى الجبهة الغربية والشمالية من البلاد أخذ الصينيون الأصليون يتربصون بالمسلمين الدوائر لاسيما عندما أعلن الأمير يعقوب خان ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م إستقلاله بملكة كاشغر فى الشمال الغربى، التى عندها إلتقى بالصينيين فإنتصر عليهم وكان جيشهم يتكون من أكثر من مائة ألف مقاتل، وعلى أثر هذا النصر المبين زلزلت الصين زلزالها إذ أوشك الأمير يعقوب أن يجعل الصين دولة إسلامية عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣.

لكنه كان فى ذلك الوقت محصوراً بين دولتين كلتاهما عدو لدود هما الصين وروسيا فإضطر إلى مهادنة هذه وعقد معاهدة تجارية.

ولما أراد دعم الوحدة الإسلامية بايع السلطان العثمانى بالخلافة وإنضوى تحت لوائه، ليكون له عضداً وسنداً، وطلب من دار الخلافة خبراء فى الفنون الحربية وسائر الصناعات الهندسية.

كما توطدت العلاقات بين بركة خان زعيم القبيلة الذهبية والظاهر بيبرس بل وتحالف الفريقان ضد عدوهما المشترك الذى يمثل هولاكو فى فارس، ولم يدخر وسعاً هولاكو فأسرع فى البحث عن حلفاء يناصرونه علي هؤلاء المسلمين

فتحالف مع الحكام المسيحيين فى غرب آسيا ومنهم ملك أرمنية وزعماء الصليبيين فى بلاد الشام، وقد رحب هؤلاء وقد شجعت هولاكو زوجته المسيحية على هذا الخط لتصرفه عن الديانة الإسلامية.

وعلى الرغم من كل هذه الجهود، وإن نفوذ المسلمين بدأ يقوى على مر الزمن ودخل كثيرون من الحكام المغول فى الإسلام.

فعندما تولى غازان محمود أحد إيلخانات الحكم فى فارس ٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٥-١٣٠٤م إعتنق الدين الإسلامى، وطالب رعاياه بالدخول فى الإسلام وأعلن أن دين الإسلام هو الدين الرسمى للدولة.

ومنذ ذلك الحين بدأ الإسلام ينتشر إنتشاراً سريعاً فى دولة إيلخانات المغول فى فارس.

إستقر المغول فى البلاد الإسلامية وتشبعوا بالروح الإسلامية تدريجياً وأسسوا أسرة إيلخانات المغول فى فارس، وتطبعوا بالطابع الإسلامى مع إرتباطهم بالشعب المغولى فى شرق آسيا مما أدى إلى سهولة تبادل المعلومات فى مختلف نواحى الحياة، بين شرق أسيا وغربها.

المسيحية وحكام إيران المغول

عرف المغول الديانة الشامانية فى عهد بداوتهم وفطرتهم - والشامانية هى عبادة وثنية لبعض الآلهة الشريرة التى كان يخشاها المغول فعبدوها وقدموا إليها القرابين والضحايا لإرضائهم خوفاً منهم.

ولما توسع المغول فى غزواتهم فى أنحاء العالم وعرفوا الديانات والحضارات الأخرى غلبتهم الروح الدينية التى جعلتهم يتطلعون إليها لمعرفتها،

فالمغول عرفوا البوذية والمسيحة والإسلام، وساوى چنكيزخان بين هذه الديانات فعاملوا أهلها دون تفرقة أو تحيز لأحد على آخر، ولذلك فقد تولى كثير من المسلمين فى عهد چنكيزخان المناصب المختلفة فى بلاد النهر، ولم يكن تعذيب المسلمين لأسباب دينية بل لأسباب سياسية، ذاق صنوفها الجميع دون إستثناء.

ولما إعتنق كوبلاى خان ٦٥٥-٦٩٣هـ/ ١٢٥٧-١٢٩٤م الديانة البوذية كان هذا بالطبع نصراً كبير لهذه الديانة وما تزال الديانة قائمة فى أرض التبت.

وقد إعتنق چنكيزخان الديانة المسيحية عن طريق توجيه زوجته المسيحية وهى من قبيلة كرايت التتارية فى جنوبى بحيرة بيكال، وذلك بعد إخضاع چنكيزخان لهذه القبيلة.

كما تزوج أجتاى من هذه القبيلة المسيحية ورغم أن كيوك حفيد چنكيزخان لم يكن مسيحياً ولكنه غمر أصحاب الديانة المسيحية بعطفه عليهم.

وقد شغل كثير من المسيحيين النسطوريين - وهم أهل المجمع الثالث وأكثرهم بالمشرق فى فارس والعراق والجزيرة والموصل والفرات - شغلوا المناصب الكبرى فى الدولة المغولية وبلغوا فى دولة المغول منصب الوزارة كما أن خانات المغول كثيراً ما تزوجوا مسيحيات، ولذلك فقد عمد المسيحيون إلى التحالف مع المغول لينصرونهم على المسلمين، ولذلك فقد جاهد المسيحيون كثيراً لكى يتحول إيلخانات المغول فى إيران إلى المسيحية.

وأخذت العلاقة بين إيلخانات إيران والبابوية فى أوربا فى الإستمرار وكان الرسل يترددون بين الطرفين فى سبيل إظهار المحبة والمودة والعطف المتبادل حتى أن إسكندر الرابع بعث إلى هولاكو كتاباً فى عام ٦٥٨/ ١٢٦٠ يناشده الدخول فى المسيحية ويحببها إليه.

ولما قوى نفوذ المسلمين بعد إعتناق تكودار أحمد الديانة الإسلامية ٦٨٠-٦٨٣هـ/ ١٢٨١-١٢٨٤م عندما بلغ سن الرشد وهو أحد أبناء هولاكو عمل على جذب إتباعه إلى الإسلام، فقدم العطايا والمنح لكل من يعتنق الإسلام، ومنحهم ألقاب الشرف فى دولته، وقد أخذ تكودار طريق الإختبار للدخول فى الإسلام دون إكراه على ذلك، ولما قامت ثورة ضد تكودار قادها إبن أخيه أرغون الذى دبر قتله ثم إعتلى العرش مكانة ٦٨٣-٦٩٠هـ/ ١٢٨٤-١٢٩١م ثم إزداد العداء للمسلمين ووقع عليهم الإضطهاد والتعذيب، وقد أخذ الإسلام ينتشر فى إيران بين المغول فى تؤده ومع ذلك فقد كثر عدد الداخلين فى الإسلام ولم يستطع أعداء الإسلام مواجهة المسلمين وإضطروا إلى العمل على جذب قلوب المسلمين إليهم بأن أعفوا العلماء المسلمين وآل بيت النبى من دفع الضرائب.

أما أوراق العملة فقد أخذت الطابع الإسلامى ونقش عليها كلمة التوحيد والتشهد.

كما أن بيدو (جمادى الثانية - ذو الحجة٦٩٤/ إبريل ٦ أكتوبر ١٢٩٥م) وهو حفيد هولاكو كان يلبس الصليب فى عنقه ومع ذلك كان يحاول جذب المسلمين إليه وفى سبيل ذلك بعث بإبنه إلى المسجد ليصلى مع المسلمين مثلهم، على أن كثيرا من المغول فى عهد بيدو حفيد هولاكو دخلوا فى الإسلام وأدوا فرائضه.

وفى عهد غازان محمود بن أرغون خان لم يكد يعلن إسلامه حتى جلس على عرش إيران وجعل الإسلام دين الدولة الرسمى وتبعته القبائل المغولية فى الدخول فى الإسلام.

على أن غازان كان بوذياً وكانت له علاقة قوية مع رجال الدين البوذيين

ولكنه كان مطلعاً على الديانات السماوية، أما الذى حول غازان إلى الإسلام فهو قائده المسلم «نوروز» التركى الذى ظل يحدث غازان عن الإسلام حتى إستجاب لقبول العقيدة الإسلامية والدخول فيها، وقد كانت إستجابة غازان فى دخول الإسلام فى شعبان ٦٩٤هـ/ يونيو ١٢٩٥م وأقيم إحتفال لهذه المناسبة فى منطقة قرب الرى فى منزل ريفى يقع فى مراعى لاردماوند حفظ غازان بعض آيات قرآنية وتعلم الصلاة والصيام وكانت له ميول صوفية.

وقد دخل غازان فى الإسلام رويداً رويداً فهو عندما صار مسلماً وكان عند نساء أبيه وأحب إحداهن لدرجة أن رجال الدين المسلمين عرضوا عليه تحريم الإسلام زوجات أبيه عليه، كبر عليه أن يترك زوجة أبيه وهم أن يرتد عن الإسلام، فأفتى له بعض خواصه أن أباه كان كافراً ولم تكن بلغان معه فى عقد نكاح صحيح، وإنما كان مسافحاً بها فاعقد أنت عليها فإنها تحل لك ففعل وقد ملأ السرور قلبه وأعجبته الفتوى.

ومن الطبيعى أن إيمان غازان قد قوى تدريجياً بإطلاعه علي تعاليم الإسلام حتى أنه قد تبعه من رجاله من المغول مائة ألف وصاروا جنوداً مسلمين، ثم أعلن غازان محمود إستقلاله عن قائد المغول الأكبر وخلع ولاءه للمغول ورفع إسمه من العمله، كما وضحت قوة إيمان غازان من أقواله، ومن أقواله أنه يجب إذا وقع منه مخالفة شرعية أن يبادر من أدرك ذلك من المسلمين ويخبره بخطأ ما فعل وقد ذكر أيات من القرآن تدل على ضرورة أن على المسلم أن يوجه أخاه إلى الصواب إن أخطأ.

أما عن أفعال قازان فإنه شجع علي قراءة القرآن فى أواخر عام ٦٩٩/ ١٢٩٩ فى أول حفلات إجتماعات المسلمين وعند الختام.

قد أجزل العطاء لكبار رجال السن وأنشأ المدارس للمذاهب الإسلامية، وكان كثير الزيارة لقبور الصالحين من رجال الإسلام.

وبعد غازان خان محمود، جاء الأيلخانات الذين ظلوا على عقيدتهم الإسلامية لم يتخلوا عنها.

ومن حكام فارس من المغول أولجاتيو محمد ٧٠٣-٧١٦هـ/ ١٣٠٤-١٣١٦م الذى مال إلى الشيعة حيناً وحيناً إلى السّنه ثم لما تبين له أن من الأفضل ترك العباد إلى وجهتهم من حيث أنهم شيعه أو سّنه طالما أنهم ينطقون بالشهادتين، فعل ذلك، وخاصة عندما أراد الإنتقام من أحد رجال السّنه وتركه بين أنياب كلاب متوحشة جائعة لينهشوا جسده، فلم يمسوه بسوء وأعرضوا عنه، ومن حينئذ أدرك أن الإيمان فى قلوب العباد وأن مطلع القلوب ينظر إليها لا إلى الصور، فترك حرية العبادة للمسلمين دون التعرض للسّنه أو الشيعة.

ثم تولى حكم فارس أولجاتيو محمد إبنه أبو سعيد ٧١٦-٧٣٦/ ١٣١٦-١٣٣٥م وكان محمد أبو سعيد بن أولجاتيو سنيا، ولكنه منح شعبه حرية إتباع المذهب الذى يرغبه سنيا كان أم شيعياً، وإحترم العقيدة ولم يرغم أحداً من المسلمين على غير ما يرغب طالما أنه ينطق بالشهادتين.

***

دور إيلخانات إيران فى نصرة الإسلام

تعددت محاولات مسيحى أوربا وآسيا الصغرى فى جذب حكام إيران من المغول إلى صفهم وقد نجحوا فى عهد هولاكو فى ذلك وحققوا هدفهم، ثم تطورت

وكان يصلى ويسجد شكراً لله عندما يحل به مكروه ثم يأتى الفرج، وكان يدعو الله أن يهديه إلى إنتهاج سنة العدل، كما أنه خصص مبالغ كبيرة تجبى من ممتلكاته وجعلها للإنفاق علي المنشآت الدينية الكبيرة وصيانتها وجعل من حجة الوقف عدة صور بعث بها إلى المسؤليين لتنفيذها ومتابعة العاملين على الأخذ بها، وعمل على مساعدة المحتاجين بتقديم الأطعمة والحلوى وخصص الأموال لتعليم كائنة يتيم القرآن، وجعل ذلك بصفة مستمرة.

كما خصص توزيع الملابس وهى أثواباً من الجلد سنوياً على الفقراء وجمع اللقطاء فى مكان مخصص لهم وتربيتهم حتى يكبروا ودفن الغرباء بعد تجهيزهم ومساعدة الأرامل من النساء وجعل ذلك سنوياً وفى حدود خمسمائة أرملة محتاجة وإهتم بشوارع تبريز ونظافتها لمسافات كبيرة، كما أقام الجسور لتسهيل عبور القنوات من فوقها، وخصص بعض الجرار لتقديمها للغلمان والجوارى بدلاً من الجرار التى تكسر منهم ويخشون العودة إلى بيوتهم خوف العقاب من ساداتهم عند العودة بدونها.

لقد ملأت التقوى والورع قلب غازان محمود حتى أنه عندما زار المدرسة المستنصرية فى بغداد قام إليه المدرسون والطلاب يحيونه فلم يستحسن ذلك منهم لأنهم قد تفرغوا للعلم وعبادة ربهم فكيف يتركوه وينصرفون عنه لغيره، وقد أجابوا بأنهم إنما فعلوا ذلك لأن السلطان ظل الله فى الأرض وطاعته واجبة فى الدين.

كما أن غازان محمود قام بتعمير مدينة النجف وحفر القنوات وتحولت الأراضى فى عهده إلى مزارع، وأصلح ضريح الحسين، كما زار كربلاء، وكان على العموم محبا لآل بيت النبى كثير العناية بهم ورعايتهم وهو في نفس الوقت

أما صدر جهان فقد غادر بيدو عدو غازان محمود وإنضم إلى غازان مقابل نصرته للإسلام والمسلمين، وأن يداوم على الصدقات والأوقاف كما كانت في عهد إسلافه من الحكام المغول وأن يجعل لورثة الشهداء في الحرب حق ميراث شهيدهم. كما إشترط على غازان أن يوليه الوزارة، مقابل مساعدته في إنتصاره على بيدو وتولى صدر جهان فعلاً الوزارة في عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م.

وأما رشيد الدين فقد إشترك مع سعد الدين الساوجي في تولى الوزارة لغازان محمود، وقد تولى هذا المنصب وتمكن من السيطرة على أجهزة الحكم حتى أنه عين في الإدارات الحكومية كحكام محليين جميع أولاده وقد بلغ عددهم أربعة عشر ولداً، وكذلك ولى أقاربه وخدمه أعمالاً كبيرة في بعض الولايات.

أما سعد الدين الساوجي الذي شارك رشيد الدين في الوزارة وكان يجيد الأعمال الحسابية، فقد بقي في منصبه مع زميله طول مدة حكم إيلخان محمود حتى توفي في عام ٧٠٢/ ١٣٠٤.

وبلغ تشبع الروح الإسلامية في قلب غازان محمود أنه إهتم بمعاونة المظلومين وإعادة حقوقهم إليهم وفقاً لما يأمر به الإسلام.

كما حارب الفساد والمفسدين ومنه شرب الخمر والغى البغاء والمعاملات الربوية وواصل خدمة المجتمع الإسلامي حتى أنه جعل من الأسرة الإسلامية موضع عنايته ورعايته بإعتبار الأسرة المسلحة نواة المجتمع الإسلامي.

كما كان يقيم الحفلات والمآدب بالطريقة الإسلامية فيبدأ الإحتفال بتلاوة القرآن ويختتم بالقرآن، ويؤم تلك الإحتفالات رجال الدين من المسلمين.

وكذلك لم يقبل أن يحدث إعتداءات على أحد من أفراد الشعب مهما كانت

الأحوال وأصبح المسلمون منذ عهد أحمد تكودار يقوى ساعدهم ويشتد، وكان غازان قد دخل فى الإسلام قبيل ولا يته لعرش فارس، ثم لما إعتلى العرش جعل الدين الرسمى للبلاد هو الإسلام.

وظل إيلخانات فارس الذين تولوا بعده عرش فارس على نفس خطة إيخان أحمد تكودار، وقد أفاد حكام إيران من المغول دخولهم فى الإسلام حيث عزز مركزهم هؤلاء الحكام أمام شعوبهم فقويت الروابط بين الحاكم والمحكمون وزاد من توثيق العلاقات بينهم، ثم نتج عن ذلك أنهم تبادلوا العطف من جانب الحاكم والإخلاص من جانب الشعب وصارت الأوضاع كما يجب أن تكون فالبلاد شعبها مسلم وأولى بحكامها الإهتمام بمواطينهم ورعايتهم، ثم أصبح كبار رجال الدولة من الوزراء والقادة من الأغلبية المسلمة. منهم نوروز، وصدر جهان، ورشيد الدين، وسعد الدين.

وكان لنوروز الفضل فى تحويل غازان محمود إلي الإسلام وفى إعتلائه العرش وقد كافأة غازان فجعله نائباً له وترك له تدبير عموم شؤن الدولة، فكان نوروز صاحب الكلمة المسموعة.

ثم بدأ الحاقدون والمعادون يثيرون الشك من ناحية نوروز وعدم إخلاصه حتى تمكنوا من إدخال الكراهية فى قلب غازان من ناحية نوروز، وتزعم صدرجهان وأخيه قطب وإتهموا نوروز بالخيانة لإتصاله بالمصريين، فإنقلب غازان محمود على نائبه نوروز وعمد توروز إلى الهرب وتمكن فعلاً من النجاة بنفسه والإلتجاء إلى هراة - من أرض خراسان - وظل يعيش فى هراة حتى إنتهى الأمر بوقوعه فى يد مبغضه بعدما تخلى عنه فخر الدين كرت صاحب هراة وقتل فى أواخر عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م.

الذرائع، فكان الصيادون عندما ينزلون للصيد يتسببون فى مضايقات الأهالى ويقومون بأعمال السلب والنهب ولايتعرض لهم أحد بأذى، فكانوا إذا ما قابلوا أحداً من الناس سلبوه متاعه ودوابه فلما شكوا إلى غازان محمود جعل عدد الصيادين أقل مماكان وسجلت أسماؤهم وأماكن تواجدهم خلال الصيد وصارت لهم أوراق مختومة توضح شخصيتهم وجدد لهؤلاء الصيادين رواتبهم وإحتياجاتهم من المؤن التى تخصص لهم ويصرفونها من الولايات التى يقيمون بها، وأمر بمنع التعرض لممتلكات الأهالى، وقدمت للصيادين إحتياجاتهم من بلاط الحاكم المغولى مقدماً عند مناسبات رحلات الصيد، وعندما علم غازان محمود بوقوع حالات إعتداء بعث بالمحققين وقرر عندما تأكد من صحة الشكاوى التى علم بها أمر بجلد المخالفين للتعليمات بالعصا، وهذا الذى قام به المسؤلون قلل من حوادث الإعتداءات إلى حد كبير، ثم بادر إلى إصدار أوامره إلى المسؤلين بالإعلان على الناس أن كل من يتعرض لأحد بأذى بغرض الحصول علي أموال بغير وجه حق يقتل فى الحال فرجعت طوائف العمال التى كانت تتبع الخاصة الإيلخانية والأمراء والقادة عن ظلمهم وصلح البلاد، ولم يحدث مثل هذا الإهتمام بأحوال المسلمين فى عهود الإيلخانات الذين كانوا على وثنيتهم، إنما حدث هذا فى عهود الحكام الذين تحولوا إلى الإسلام، وإعتنقوه كعقيدة سماوية وعملوا بما جاء به وساروا على هديه فأفادوا وإستفادوا.

على أن غازان محمود كان ينظر إلى الحركات الإصلاحية التى يقوم بها بروية إذ منع الناس من أمور كانت مباحة لهم مدداً طويلة يصعب عليهم الإمتناع عنها ودون سابق إنذار، وكان ينزل العقاب على المخالفين للتعليمات علناً وأمام الجمهور حتى يرتدع الآخرون.

وعلي العموم فقد إتخذ طريق إصلاح أحوال المجتمع بحيث لا يخرج عن القرآن والسنه حتى أنه نظم حاللات الزواج وجعل الإعتدال في المعاملات الزوجية وعدم المغالات فى مؤخر الصداق حتى لا يضار أحد عند الإنفصال إذا كان مؤخر الصداق كبيراً مثلا.

وهكذا فقد عاد الإسلام قوته وتحقق للمجتمع الإستقرار والطمأنينة، كما تم تنظيم شؤن الحج إلى مكة وحراسة قوافل الحجاج وخصص المبالغ المالية التى يحتاجها العاملون فى الأماكن المقدسة لكى يتمكنوا من التفرغ لخدمة المسلمين فيها وبعث إلى الكعبة بالكسوة المخصصة لغطائها.

كما أنشأ غازان محمود كثيراً من المدارس لخدمة علوم الدين فكثرت المؤلفات العربية فألف رشيد الدين وزير غازان محمود كتاب المجموعة الرشيدية وهى فى تفسير القرآن والأحاديث وبعض الموضوعات الأخرى التى تهم جماهير المسلمين مثل الأسراء والمعراج وما إلى ذلك، ولرشيد الدين كتاب «مفتاح التفاسير» وهو عن بلاغة القرآن وطرق التفسير ومسائل دينية هامة مثل القدر والتناسخ والبعث، ولرشيد الدين كتاب فى التصوف بعنوان «لطائف الحقائق» يذكر فيه الحشر والوحدانية والفيض والفياض والمعجزات النبوية.

فى فترة حكم غازان محمود ظهر كثير من شعراء التصوف الذين قاموا بدور بارز فى دعوة الناس إلى الإستقامة وفضل الإلتجاء إليه فى كل الأحوال والإعتماد عليه وحده، ومن هؤلاء الشعراء عراقى بن شهريار ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م وهمام التبريزى صاحب رباعيات ميرهمام وسعد الدين محمود التسترى وله كتاب «حديقة التصوف» وهو شرح لمسائل دينية.

كما إزدهرت فى عهد غازان محمود صناعة السجاد وأنشئت المصانع لإنتاج ما تحتاجه المساجد من هذه المصنوعات.

علي أن إرتفاع حماس المسلمين لتحسن أحوالهم بعدما لا قوه من عناء ومشقة فى عهود سابقة كانت له نتائج سلبية وقتية فى إظهار سرورهم لتغير الأحوال إلى صالحهم ضد الأقليات التى أدار المسلمون لهم ظهورهم، ثم عادت الأمور إلى طبيعتها من حسن المعاملة مع نظر إلى جميع الأديان السماوية بروح واحدة دون تفرقة بين الأديان ومعتنقيها.

وفى أواخر عهد غازان محمود صار المسيحيون واليهود فى إيران يتمتعون بحريتهم الدينية ومنعت الإضطهادات التى قاسوا منها الكثير، حتى أن غازان محمود أمر بمنع أسباب الظلم والإضطهاد الذى نزل بالمسيحيين واليهود عندما الزمهم بالغيار وأن يلبس المسيحيون الزنانير فى أوساطهم وأن يضع اليهود خرقة صفراء فى عمائمهم وإستمروا على ذلك شهورا، ثم أعفوا من لبسها حيث أن العامة آذوهم وجنوا عليهم فوجبت حمايتهم وأخذ يفعل كثيراً من الأمور التى تتفق مع صالح المسيحيين.

ومن أسباب تحول غازان محمود عن الاضطهاد ضد المسيحين واليهود، قيام مشاكل مع دولة المماليك فى مصر ترتب عليها أنه أمر جميع جنوده بالإستعداد فى مدى سنه إذا سمحت الظروف لأنه يريد أن يدخل وينتصر على سلطانها وطلب من ملك أرمينية ومن ملك بلاد الكرج وغيرهما من مسيحى الشرق أن يستعدوا للحضور عنده.

ويذكر إبن إياس عن سبب مجئ غازان وزحفه على مصر هو أن قفجق نائب الشام لما بلغه أن السلطان المنصور لاجين ٦٩٦-٦٩٨هـ/ ١٢٩٧-١٢٩٧م

أرسل بالقبض عليه، أخذ أولاده وعياله وبركه وماله وخرج من الشام وتوجه هارباً إلى غازان محمود، وحسن له أن الملك الناصر صغير وإن خلافا وقع بين القادة العسكريين وأغراه بالزحف على مصر لأنه سوف لا يجد من يرده عنها فلذلك جمع غازان محمود مائتى ألف مقاتل وإتجه بها إلى مصر لغزوها.

وأما فى مصر فقد عقد الأمراء المماليك إجتماعاً وقرروا فيه إرسال الأتابكى بيبرس الجاشنكير إلى حلب على رأس خمسمائة فارس، ثم تبعه الناصر محمد بن قلاوون وجماعة من كبار العلماء ومنهم شيخ الإسلام تقى الدين بن دقيق العيد.

وفى عام ٦٩٩/١٢٩٩ وصلوا إلى دمشق ثم خرجوا وتقابل جيش غازان محمود مع جيش المماليك عند سلمية قرب بعبلك، وتقاتل الفريقان وقتل مالا يحصى من الفريقين فإنهزم المماليك وهرب السلطان الناصر إلى بعلبك ونهب بركة وسائر برك العسكر ولم يبق مع السلطان المصرى إلا طائفة يسيره.

ثم إتجه غازان محمود إلى ضياع الشام ونهب ما فيها وسبى أهلها فإجتمع العلماء وقرروا مقابلة غازان محمود وكان منهم الشيخ تقى الدين تيمية، وفى المقابلة وقال الترجمان لغازان محمود إنهم جاؤا يطلبون الأمان، فقال غازان قل لهم أنى أرسلت لهم الأمان قبل حضورهم عندى، فعادوا إلى دمشق وأعلنوا على الناس أمان أهل دمشق من الغازان محمود، فاطمأن الناس، ولما ظهر الأمير قفجق - الذى كان نائب الشام وإلتجأ إلي غازان محمود بأرض فارس - نزل بالميدان الأخضر ثم بعث إلى نائب قلعة الشام يطلب إليه تسليم القلعة بدلاً من أن يأخذورها عنوة فرد عليه نائب القلعة بأن ليس عنده جواب إلا السيف، فكيف يسلمها والسلطان الناصر على قيد الحياة، ولما حاول المغول الإستيلاء عليها تعذر عليهم ذلك.

ولما إجتمع جيش مصر والتف حول السلطان الناصر محمد بن قلاوون، غادر غازان محمود المغولى دمشق بعد أن خلف عليها الأمير المغولى قطلوشاه بيك مع جنود من المغول، وولى الأمير قفجق نائب الشام كما كان قبل هروبه إلى غازان.

أما السلطان الناصر فإنه غادر القاهرة بعد أن دبر شؤنها مع نائب السلطنة الأمير سلار والأتابكى بيبرس الجاشنكير ثم قرر العودة إلى قتال غازان فإتجه إلى الريدانية إستعداداً للخروج إلى الشام وفى الشام قابلهم الأمير قفجق وأظهر الطاعة للسلطان وباس الأرض، وإجتمع بالأنراء وإقترح عليهم أن يعود السلطان الناصر محمد إلى القاهرة ولا يدخل دمشق وسيجيئه الأمر كما يختار، وعاد السلطان فعلاً إلى القاهرة فى نفس عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، حدث ذلك على الرغم من أن الأمير قفجق نائب الشام هو الذى هرب إلى غازان وحسن له غزو مصر.

أما غازان فقد جمع جنوده من المغول علي الفرات ووصلت أخباره إلى مصر، وفى مصر إجتمع السلطان بالأمراء وقرروا جمع نفقه الجنود من أغنياء الشعب وميسورى الحال، وتم جمع ما يزيد عن مائتى ألف دينار فأنفق السلطان على الجنود ثم خرج الجميع إلى أرض الشام وفى أرض غزه وصلتهم الأخبار بأن نائب حلب تمكن من هزيمة المغول فإنسحب المغول عائدين إلى بلادهم، فقرر السلطان العودة إلى القاهرة خاصة وإن الجنود تذمروا من قلة النفقة.

وفى عام ١٣٠٢/٧٠٢ تقابل جيش المغول بقيادة غازان محمود الذى بلغ عدد جيوشه ما يزيد عن مائتى ألف مقاتل ومع السلطان من جيوش مصر والشام من عرب ومماليك مثل ذلك العدد.

وتقابل الجيشان علي مرج راهط تحت جبل غباغب وإنهزم المغول في هذه الموقعة ووقع فى الأسر منهم نحو ثلث جنودهم من المغول ومن الأرمن ومن بلاد الكرج وغيرهم من مسيحى الشرق الذين قاتلوا تحت راية المغول، أملاً فى النصر على المسلمين وإرجاع بيت المقدس إليهم.

ولما عاد السلطان الناصر إلى القاهرة صحب معه من الأسرى من المغول ومن غنائهم من الخيول والسلاح والقماش الشيئ الكثير.

أما غازان محمود فقد أصلح من أجوال الأقلية المسيحية بغرض أن يشاركوه في غزو الشام ومصر وقد فعل المسيحيون كل ما فى وسعهم لخدمة المغول أثناء حروبهم فى سوريا حتى أن عدد شارك مع المغول فى حروبهم فى الشام بلغ ثلث جيش المغول وقد قام الأرمن بدورهم فى محاربة المسلمين فى سوريا حتى قتل الكثيرون منهم فى ميدان المعركة من أجل غازان محمود وبغضا فى المسلمين.

***

فشل مسيحيو أوربا فى جذب حكام إيران المغول إلى صفهم

على الرغم من مساعدة المسيحيين لغازان محمود فى أرض الشام فى حروبه ضد المماليك وتحول غازان فى معاملتهم فى بلاده إلى درجة أنه أعلن أنه أصدر أوامره بتحريم التعرض لأتباع الديانة المسيحية أو اليهودية أو الصابئة بالأذى وأنه أمر بقتل من يفعل ذلك بهم من أفراد الشعب إذ أنهم يقومون بدفع الجزية وعلى ذلك يجب حمايتهم مثلهم مثل المسلمين، وفى سبيل ذلك لقى غازان

خان كل التأييد والمعاونة من المسيحيين عند ما حارب فى سوريا ضد المماليك، وقد حاول السيحيون أن يجذبوا إليهم حكام إيران ليستعينوا بهم على إسترداد بيت المقدس فى أرض فلسطين من أيدى المماليك فإجتمع ملوك أوربا وبابواتها لكى يحصلوا علي تحقيق غرضهم هذا، وقرروا بذل جهودهم بكل ما يستطيعون ليدخلوا إيلخانات إيران فى الديانة المسيحية وظلت المكاتبات مستمرة بينهم، وفى كل مرة يشيرون إلى رغبتهم فى إستعادة الأرض المقدسة من أيدى المسلمين لقد كاتب بابوات أوربا المسيحية أباقا إيلخان المغول فى فارس وهم كليمنت الرابع وحجر يجورى العاشر ويوحنا السادس والعشرين ونقولا السادس لقتال المسلمين فى أرض الشام ثم المراسلات التي تكت بين أرغون إيلخان فارس وبين البابا نقولا الرابع تضمنت الرسائل الحديث عن الأرض المقدسة فى فلسطين وكان أرغون نفسه يطلب العمل على إسترداد الأرض المقدسة من المسلمين، وقد دعا البابا نقولا ملوك أوربا لعقد معاهدة مع الإيلخان لانتزاع الأرض المقدسة.

ومنذ عام ٦٩٠/١٢٩١ حيث كان حصار عكا الذى إنتهى بسقوطها فى أيدى المسلمين فى ١٧ جمادى الآخر من نفس العام، وقد فاق عدد المطوعة العرب فى هذه الغزوة عدد الجيش المملوكى، وكان الصليبيون فى عكا قبل فتحها يقطعون الطريق على المسافرين ويستولون على أموال التجار ويقتلون كل من لا قوة من المسلمين، وكانت عكا آخر مدينة حصينة بالشام إنتزعها المسلمون من الصليبيين.

وعلى أثر سقوط عكا إشتعل البابا نقولا الرابع حماساً، ثم نادى فى ملوك أوربا يطالبهم بعقد معاهدة مع كيخاتو إيلخان فارس فى عام ٦٩٠-٦٩٤/ ١٢٩١-١٢٩٥ الذى حكم بعد أرغون وأقياله الأرمن والكرج لقتال المسلمين فى

مصر والشام ولكنه مات قبل أن يكمل إستعداداته وبقى الكرسى البابوى معطل مدة عامين، ثم تبودلت المكاتبات بين البابا بونيفاس الثامن والإيلخان غازان محمود أبدى رغبته لعقد معاهدة مع ملوك أوربا ضد المصريين وأن يسلم الأراضى المقدسة للمسيحين ثم أعلن بونيفاس عن ضرورة قيام حرب صليبية فى عام ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م.

إلا أن الخلاف بين المذاهب المسيحية فى أوربا فى شرقها وفى غربها ومع ملوك إنجلترا وفرنسا ورغبة بونيفاس فى ضم البابوية لجميع المسيحيين تحت راية واحدة جعله يصرف النظر عن أفكاره فى قيام حرب صليبية.

وعلى الرغم م حماس كل من المغول والصليبيين فى عقد محالفات ضد المسلمين فى أرض الشام ومصر إلا أن الظروف لم تسمح لأى منهما أن يحقق أى هدف من أهدافهم ضد المسلمين إذ أن سقوط عكا قتل الأمل فى قلوبهم وهى آخر معاقلهم.

أما الدولة البيزنطية، فقد تخلصت من الصليبيين اللاتين، وإرتبطت مع مصر بعلاقات طيبة ووثق العلاقات بينهما مصالح تجارية ودينية فسمحوا لبيزنطة ببناء كنيسة ومخازن فى الأسكندرية وتوطدت العلاقات مع إيطاليا لأسباب تجارية أيضاً.

كذلك فإن أرغونه وصقلية كانا على علاقة طيبة مع دولة المماليك فى مصر، بل الأكثر من ذلك أنهما تعاقدا مع المماليك على الوقوف فى صفهم فى حالة قيام حملة صليبية ضدهم.

وأسباب ذلك أن موقف إيلخانات إيران لم يكن من القوة بحيث يمكن

الإعتماد عليهم فقد تعددت الحروب بين إيلخانات إيران وحكام مصر المماليك وكان النصر أكثر ثباتا فى ناحية المماليك عنها فى الجانب المغولى، ولذلك فقد عملت دول إيطاليا وأرغونه وصقلية وبيزنطة على تحسين علاقاتها مع المماليك وتعددت بينهم المكاتبات بقصد توطيد علاقات التعاون.

على أن بيزنطة كانت أكثر تلك الدول توسطاً في العلاقات بين الأطراف المتصارعة، فقد رفض البيزنطيون الإشتراك فى إحدى الحملات الصليبية التى قامت ردا على سقوط مدينة عكا فى أيدى المسلمين فى عهد الأشرف خليل، أخذا بسياسة الملاينة والحياد.

وفى نفس الوقت بعث الإمبراطور البيزنطى بإحدى بناته وتسمى مارى إلى هولاكو المغولى وتزوجها إبنه أباقا إلا أنها وصلت بعد وفاة هولاكو، وأطلق المغول على مارى إسم «دسبينا» كذلك قدم البيزنطيون إحدي بنات الإمبراطور أندورنيك إلى غازان محمود لتكون له زوجة وقد رحب غازان محمود بالبعثة التى قدمت له إبنة الإمبراطور الشرعية لتكون له زوجة، ووعدهم بمنع غارات الأتراك العثمانيين من حملاتهم العسكرية ضد بيزنطة.

***

أسباب إنتصار المسلمين وحماية الشام وفلسطين من المغول والصليبيين

نشطت أوربا المسيحية بالتعاون مع مغول إيران على محاربة المماليك فى مصر والشام، وظل هذا الإتصال بين أوربا من كبار رجال الدين وملوكها وإيلخانات إيران سنين عدة، ولكن لم يأت إتفاقهم ضد المسلمين بشئ.

وعلي الرغم من دخول إيلخانات إيران في الإسلام فإن محاولات بعض المفسدين من الخارجين على القيادة فى دولة المماليك - أمثال الأمير جقمق نائب الشام - هى التى حسنت إلى غازان محمود محاربة المماليك، وقد ساعد غازان فى حروبه هذه ملوك أرمينيا وجورجيا المسيحيين الشرقيين، وقد كان من أهداف الحكام المغول منذ أول غزواتهم فى بلاد المغرب الإسلامى الإستيلاء على مصر والشام، وقد ملأت الفطر سنه قلب هولاكو بعد غزوه لبغداد فبعث إلى حكام مصر يدعوهم إلى إعلان الخضوع للماليك والإنضواء تحت رايتهم ويهدد بالحرب فى حالة الرفض، كما زن كيخاتو وهو من أحفاد هولاكو وإيلخان فارس بعث إلى الأشرف خليل بن قلاوون علنه بأنه سيدخل حلب ليستولى عليها لأن أجداده المغول فتحوها ويطلب تسليمه سوريا.

على أن من أسباب العداء بين إيلخانات مغول إيران والمماليك، أن المماليك قاموا بمحاولات عسكرية لإسترداد بغداد عدة مرات من أيدى المغول إيلخانات فارس، وبعد تحقيق الأشرف خليل لبعض الإنتصارات فى أرض الأرمن أعلن الأشرف خليل أنه ليس أمامه بعد ذلك إلا إيران وبلاد الروم والعراق، وكان هذا دافعاً لزيادة الإحتكاكات بين الطرفين.

وزادها إشتعالاً ملوك أرمينيا الصغرى، ولم يمنع المغول من الوصول إلى مصر إلا شجاعة سلاطين المماليك والذين شاركوهم فى الحروب من عرب مصر والشام وغيرهم ثم كانت معركة عين جالوت على أرض فلسطين أخطر المعارك الحربية فى العالم حيث أن المغول تحولت إنتصاراتهم بعدها إلى هزائم.

وبعد معركة عين جالوت، حاول أباقا خان أحد أبناء هولاكو إستعادة الأمجاد البطولية للشعب المغولى إلا أن المحاولات المغولية الصليبية جميعها باءت

بالفشل، وذلك علي الرغم من مقاومة كلا من المغول والصليبيين لإسترداد أنطاكية التى إستولى عليها المسلمون في عهد السلطان بيبرس فى عام ٦٦٦/ ١٢٦٨م.

ولما حاول المغول غزو البيرة علي الفرات بتأييد من أباقا فى عام ٦٧١/ ١٢٧٢م هزمتهم عسكر بيبرس، ولما حاول أباقا غزو سوريا فى عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م تصدت له جنود بيبرس واشتبكت مع المغول وجنود جورجيا (الكرج) ومن سلاجقة الروم فهزمتهم جميعهم عند أبلستين - إحدى مدن الروم - ولما كان عهد السلطان قلاوون تقدم منكوتمر أحد أبناء هولاكو فى عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م ومعه جنود الأرمن والفرنج وجورجيا والتقوا قرب حمص مع جنوده قلاوون فهزموا أمام جنود قلاوون وانسحب المغول ومن كان معهم إلى بغداد بعدما قتل كثير من المهاجمين.

ثم جاء بعد أباق تكودار أحمد بن هولاكو الذى ولى عرش أيلخان فارس والذى أعلن إسلامه وبعث إلى السلطان المملوكي قلاوون يعرفه بإعتناقه الإسلام وأنه قرر سياسة سلام مع مصر وأعلن أن الإسلام هو دين فارس المعترف به من إيلخان فارس المغولى، أما فى عهد غازان محمود فإن بعض الحاقدين أوعزوا إليه أن الأوضاع فى مصر والشام ليست على أصول الإسلام وإنهم يحصلون على مقابل مادى نتيجة لأدائهم الأعمال الشرعية على غير ما جرت به العادة وإنهم يستحقون أن يعاقبوا بمهاجمتهم والإستيلاء على مصر والشام.

وقد إستجاب إيلخان فارس، ولكنه لم يوفق فى حملاته الحربية دائماً على الرغم مما أعده من جند وعتاد ومعاونة من الصليبيين وغيرهم من ملوك آسيا الصغرى ومده بالجنود، ولكنه كان مرة ينتصر ومرة ينهزم ولم يستقر للمغول قرار فى أرض الشام.

ومن سلوك غازان محمود فى ميدان المعركة أنه كان يكلف جنوده بالوضوء للصلاة ويصلى معهم، وفى إحدى حملات المغول على سوريا إلتقت مقدمة غازان مع طائفة من عسكر الشام فهزم عسكر الشام عسكر المغول وقتلوا منهم وغنموا كثيراً حتى إضطروا للعودة لبلادهم، وهكذا لم يتمكن المغول من تثبيت أقدامهم، ويبدو أن المغول كانوا يريدون إثبات قوتهم إزاء تهديد سلاطين المماليك بمهاجمة إيلخانات إيران، فأرادوا أن يردوا المماليك عن محاولاتهم فى شن هجوم عليهم في بلاد فارس كما أن غازان محمود لم يكن يريد إراقة دماء المسلمين كما أن الظروف المناخية لم تساعد على إستمرار الحملة العسكرية المغولية حيث أن هطول الأمطار بغزارة والثلوج التى أعاقت حركة الفرسان وأفسدت المراعى حتى أصابها التلف وصارت لا تصلح لخيولهم فقد ظلت الأمطار تسقط بصفة مستمره ما يقرب من شهر ونصف، فكأنها حرب قد سلطت من السماء على المغول حتى يضطروا للإنسحاب عائدين من حيث أتوا.

ولما قد غلبت روح الإسلام على هؤلاء المغول حيث قبل غازان أن يؤجل فتح مدينة الرحبة بناء على ملتمس قدم له من حاكمها إلى حين فتح سوريا، وهذا سلوك جديد لم يعهد فى أحد من رجالهم إلا بعدما رأوا حضارة الإسلام وعرفوا من تعاليمه ما جعلهم يتحولون عن خططهم السابقة أيام الغزو المغولى الأول في عهد چنكيزخان.

كذلك فإن الفارق كان كبيرا جداً فى أسلوب كتابتهم إلى حكام البلاد التى يريدون فتحها، فقد كتب غازان محمود إلى الأمير عز الدين أيبك نائب الشام فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون يعاتب النائب ويتعجب كيف أنه كتب إلى سلطان مصر، وعندما جاءه الرد بعد مدة طالت لم يكن إسم الله فى أعلا الكتاب وإنما إسم السلطان هو الذى أعلا الكتاب وبخط الذهب، أما إسم الله فكتب

بالمداد ثم إسم غازان الذى كتب بعد عدة سطور، وعلى الرغم من أن غازان بعث بالخلع والهدايا للسلطان فإن السلطان كان يدبر لغزو ديار بكر لولا أنهم علموا بما عليه البلاد من قوة فرجعوا عن خطتهم، وهم مع ذلك أغاروا على خرتبرت وملطية وسيسى وكتبوا إلى الأكراد والروم وبلاد جورجيا (الكرج) يحرضونهم على الثورة ضد المغول.

كما قال غازان لأهل الشام أنه يريد ذكر إسمه في الخطبة على السكة والدخول فى طاعة المغول إيلخانات فارس المسلمين وأكد غازان أنه يؤمنهم على أموالهم وديارهم وأنفسهم وأهلهم أن هم أطاعوه ثم عاد عبر دجلة وأخذ طريقه عن طريق الموصل نحو سنجار وبقى فى كشف، بعدما ترك خلف له هو قطلغشاه الذى عهد إليه بفتح سوريا وكلف قواده الذين كانوا معه فى الإنضمام إلى قطلغشاه الذى حضر إلى سوريا عن طريق غير الذى سلكه غازان محمود فسار إلى جورجيا ثم سار بصحبته جيش تلك البلاد ثم عبر نهر الفرات عند الرقة فى شهر شعبان عام ٧٠٢/ مارس ١٣٠٣ وواصل إلى حلب ثم إلى مرعش وكان قطلغشاه يقود جيشا بلغ عدده بين ثمانين وتسعين ألف جندى.

إتجه قلطشغاه غرباً ثم بعث بأربعة آلاف جندى هاجموا جماعة من التركمان قرب القريتين وأسروا منهم ستة آلاف وإستولوا على أغنامهم، ثم فاجأهم عسكر حلب وطرابلس وحمص وكانوا جميعهم فى حماه فلما علم هؤلاء بأمر المغول بعثوا إليهم قوة بلغ عددها ألف وخمسمائة فارس، فوجئ المغول بهذه القوة العربية بمنزلة «عرض» وإقتتلوا من أول النهار حتى العصر فإنهزم المغول وفر غالبيتهم ووقع فى الأسر منهم نحو مائتين، ولما وصلت الأخبار إلى قطلغشاه وعلم أن جنود مصر لم تصل بعد إلى أرض الشام دفعه إلى الإسراع إلى ظاهر حلب منتهزاً فرصة غياب غالبية الجيش المملوكى كى يحقق نصراً سريعاً، إلا أن

الفرصة لم تقابله بما يشتهي وفوت عليه المصريون الإنفراد بجنود الشام، حيث حضر جيش مصر بأسرع مما توقع قطلغشاه، وتقاتل الجيشان في شقحب بمرج الصفر من ضواحي دمشق وذلك في رمضان عام ٧٠٢/ إبريل ١٣٠٣ وكان جيش المغول يبلغ مائة ألف منهم الكرك (جورجيا) والأرمن وغيرهم وجيش المماليك في مثل ذلك العدد.

وبعد معركة تبادل فيها الفريقان النصر والهزيمة، ولكن إنتهت المعركة بإنتصار المماليك على مغول فارس وتعقبهم جند المماليك وفرسان العرب.

ولقد كانت تلك المعركة هزيمة للمغول وأعوانهم من الكرج والأرمن المسيحيين، وقد سر الناصر محمد بن قلاوون سروراً عظيماً لنتائج هذه المعركة.

وقد كانت هذه آخر المعارك الكبرى التي أعدها إيلخانات فارس لإنتزاع الأراضي المقدسة في فلسطين من أيدي المماليك وبعدها لم يعد لتعاون الإيلخانات المغول مع مسيحي أوربا أي معنى وبقيت فلسطين تستظل براية الإسلام، كما نجح المسلمون في ضم شعب كبير من المغول إلى صفوف الإسلام.

وبعد أن توفي غازان محمود عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م تولى بعده أولجاتيو عرش فارس عام ٧٠٣-٧١٦هـ/ ١٣٠٤-١٣١٦م الذي تحول في آخر أيامه إلى سياسة معاداة المماليك إلا أنه لم يتمكن من تنفيذ خطة حربية ذات بال خاصة وإن السلطان الناصر محمد بن قلاوون لم يكن يتواني عن الدفاع عن أرض الشام مهما كان الخطر القادم.

ثم تولى عرش فارس الإيلخان أبو سعيد إبن أولجاتيو ٧١٦-٧٣٦هـ/ ١٣١٦-١٣٣٥م وقد سار الإيلخان أبو سعيد على سياسة المهادنة والمصالحة مع المماليك ونبذ سياسة الصداقة مع مسيحي أوربا لمناهضة حكام مصر والشام

وأخذت سياسة الصداقة والمودة والتآلف هى القائمة بين أبو سعيد ملك المغول وسلطان مصر والشام محمد قلاوون، وتم فتح الحدود بين إيران ومصر والشام ، وقد ساد الهدوء على الحدود بين الدولتين ولم يكد يستمر الحال على ذلك حتى تفككت إمبراطورية المغول فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى من تيمورلنك وبركة خان وإيلخانات فارس وظهرت قوة إسلامية جديدة، وكان للغزو المغولى الأول أثر غير مباشر فى قيامها فقد دفع المغول أمامهم إلى آسيا الصغرى عشيرة الأتراك التى إنحدر منها الأتراك العثمانيون فيما بعد، وأخذت هذه القبيلة تنمو تدريجياً ويزداد نفوذها السياسى فى أسيا الصغرى حتى أمتد إلى الدول المجاورة.

لقد تغلب الأتراك العثمانيون على الدولة البيزنطية وقضوا عليها وإستولوا على عاصمتها القسطنطنية وجعلوا منها عاصمة للدولة الإسلامية العثمانية.

بدأ الأتراك السلاجقة حروبهم فى آسيا الصغرى ضد البيزنطيين وتغلبوا عليهم فى موقعة ملاذكرد، وظلت الهجرات التركية تتوالى على منطقة آسيا الصغرى على الرغم من المحاولات المتتالية لصدهم، ولكن دون جدوى حتى تثبتت أقدامهم فى آسيا الصغرى وصار لهم في تلك المنطقة قاعدة راسخة رسوخ الجبال الراسيات.

بل الأكثر من ذلك أن الإسلام إنتشر فى هذه المنطقة ودخل السكان فى الإسلام أفواجاً بحيث أنه فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى كانت القوة الإسلامية هى القوة الغالبة فى آسيا الصغرى وعبر الأفراد من الشعب التركى إلى أوربا والقسطنطينية ورأوا فخامة وعظمة هذه المدينة، وبسقوط القسطنطينية فى يد المسلمين تحول مجرى التاريخ العالمى وحدث إنقلاب بعيد الأثر فى الحضارة العالمية.

الباب الثالث

حول الأسماء التاريخية لشعوب

(التتار والمغول والأتراك والمسلمين)



الباب الثالث


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

حول الأسماء التاريخية لشعوب (التتار والمغول والأتراك والمسلمين)

يعود شعب التتار بجذوره إلى الشعوب التركية التى عاشت فى الهضبة الآسيوية الشاسعة التى تمتد من أطراف الصين إلى أواسط آسيا.

ولم يكن التتار على وفاق مع القبائل المغولية جيرانهم، وقامت الحرب بين التتار والمغول وتغلب المغول على التتار واضطر الكثيرون من التتار إلى الاتجاه شمال وغرب المنطقة الآسيوية وسكنوا مناطق متفرقة منها وأطلق عليها اسم التتار مقترنا بأماكن سكنهم الجديدة.

وشعب التتار يعود بجذوره إلى الشعوب التركية التى تجمع فى أسرتها الكبيرة من الأتراك والأذربيجان والكازاخ والقرغيز والبلكار والقراتشاى وتتار القرم وتتار نهر الفولجا.

والتتار من الشعوب الناطقة بالتركية، ولكن لهم لغتهم التتارية.

بعد أن تغلب المغول على التتار تشتت التتار وتفرقوا، وقام المغول بالحاق بعض التتار فى جيوشهم قهرا، الأمر الذى جعل البعض يطلقون اسم المغول على التتار أحيانا، وقد حارب التتار الذى عاشوا فى منغوليا وزحفوا مع المغول للقتال فى الحروب.

ولذلك اختلط الأمر على البعض ووصفوا التتار بما وصفوا به المغول. ولما أراد التتار أن يختاروا الاسم الأصلى «الترك» باعتبار أنهم أتراك أصلا، أو المسلمين بدلا من التتار، وقف رجال الكنيسة الروسية من التتار موقف المعارضة باعتبار أن التتار إنما يريدون الإنضمام إلى «الجامعة التركية» أو «الجامعة

الإسلامية» لينضموا تحت لواء الدولة العثمانية ويتحدوا معها، وهذا بالرغم من صعوبة تصديق مثل هذا الإتهام حيث المسافات بين الطرفين شاسعة ولا تقبل مثل هذا التوقع من جانب رجال الدين المسيحين من الروس.

وقد أثار هذا القول وأشاعه فى الأوساط الروسية المخاوف نحو الشعوب التتارية فأسرعت الحكومة الروسية فى عهد القياصرة بتكليف البوليس السرى برقابة تحركات الأفكار التوحدية باعتبار أنها خطر يهدد الدولة الروسية.

وقد اشتد سرور المبشرين الذين عمدوا إلى البحث والتحرى وتلفيق الاتهامات ضد حركات الجامعة التركية وخاصة أصحاب دور النشر البارزة والكتاب والمدرسين والصحفيين والجمعيات الخيرية والمدارس الدينية المنتشرة للشعب التتارى.

ولما حاولت التتار تعديل اسم التتار إلى «المسلمون» رفض هذا الطلب واعتبر أنه لصالح «الجامعة الإسلامية». وأضافوا إتهامات جديدة هى أن التتار هم من سلالة «المغول» الذين يهددون الشعب الروسى والديانة المسيحية.

على أن المغول لم يكونوا على وفاق مع شعب التتار المجاور لهم، حتى أن جنكيز خان زعيم المغول هو الذى جاهر بعدائه لشعب التتار بمجرد أن وحد الشعب المغولى تحت قيادته، وأدرك قوة بأسه ثم اتهم التتار بأنهم قتلوا آباءه وأجداده وطالب بالثأر منهم وحاربهم حتى تشتتوا.

ثم أمر جنكيزخان بمنع اسم التتار الذى كرهه وأبغضه. وعلى الرغم من تلك الحقائق التاريخية التى تؤكد أن التتار شعب وأن المغول شعب آخر فإن المتطرفين من رجال الكنيسة الروسية والمدارس المسيحية نجحوا فى تنفيذ

خططهم فى نشر العداء ضد التتار حتى أنهم وصفوهم بأبشع الأوصاف حقدا عليهم.

أما الحكام القياصرة من الروس، فإنهم كانوا يرون أن التتار هم حقا من سلالة المغول الذين غزوا الأراضى الروسية فى فترات ضعف الدولة الروسية. إلا أن أحد المبشرين المسيحيين الروس نسب إلى المدارس الروسية أنها هى التي تعمل على وعى التتار القومى، والاجتماعى لجماعات المسلمين وأصدر فى عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م كتابا له أشار فيه إلى أن الخطر القادم ليس من المغول، ولكن من المسلمين أنفسهم هذه المرة.

فرجل الدين هذا قد عمل إلى الإثارة الجماهيرية ضد الإسلاميين بكتابه هذا عن التتار، مع أنهم قد تلقوا تعليمهم فى المدارس والجامعات الروسية، ومع كل تلك الإتهامات ضد التتار فإنه ظهر من بين رجال الدولة الروسية أنفسهم من يشهد أن كل التتار هدفهم الحفاظ على الهوية القومية.

وكذلك كل التيارات الفكرية المنتشرة بين التتار هدفها الحفاظ على الهوية القومية مع الأخذ فى نفس الوقت من الثقافة الأوربية. ولم يجد هذا المسؤل الروسى المخلص للقيصر الروسى ما يتناقض مع ميول غالبية الشعب الذى يرفض فكرة القومية ويعد كل المسلمين شعبا واحدا ويؤكد أن التتار وطنيون مخلصون. فهو لم يجد فى كل ما كتب عن شعب التتار ما يتعارض مع مصالح الشعب الروسى على وجه الإطلاق. والحقيقة أن غالبية شعب التتار لم تتأثر بحركة الجامعة الإسلامية أو التركية.

على أن التتار عندما رغبوا فى إطلاق اسم الترك فإنما أرادوا إيضاح

إنتمائهم اللغوى. وكذلك عندما سموا أنفسهم «مسلمون» فكان هدفهم الإشارة إلى إنتمائهم الدينى وإظهار ديانتهم عن الديانة المسيحية.

وكذلك قد فعل إسلاف عندما اطلقوا على أنفسهم «سلاف» وأيضا أنهم «أرثوذكس» ولذلك فإن جميع شعوب التتار ترغب بالحاح فى إعلان اسم «الترك» بالنسبة لجميع التتار، لأنه أعم فى التعريف وأقرب إلى الحقيقة، فالجميع ينطقون بالتركية، فهم إذن لم يخرجوا عن أصولهم التاريخية القديمة. ومع ذلك فلم يختفى اسم التتار من صفحات الجرائد والكتب.

وقد ظهر من بين الكتاب من قال بأنه لا توجد مقارنة بين التتار والمغول فهذا شعب وذاك شعب آخر.

ومنهم من وصف لقب «تتار» باسم شامل ومصطلح تقليدى لتلك الجيوش التى تكونت من قبائل مختلفة وهاجمت روسيا فى عام ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م وفى عام ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م وفى عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م فلم يكن لها أى روابط قومية مع أجداد تتار الفولجا الذين نراهم اليوم.

أما جذور تتار قازان فتمتد إلى العصور القديمة وتتصل بذلك الشعب العظيم الصامد الذى شيد دولته القوية الغنية فى العصور الوسطى قبل الغزو المغولى وهى دولة (بلغاريا) و (بولجاريا) على ضفاف نهر الفولجا الذين أحرزوا مع جيرانهم نصرا مبيا على جيوش القائد المغولى «سبوداى» فى عام ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م وقد وقع على التتار أنفسهم الغزو المغولى، ولقوا من مقاومته وشدة هجومه الكثير من الصعاب.

أما ما يقال عن الغزو المغولى التتارى فلا يؤكد أنه يوجد أصول عرقية

لساكنى السهوب الذين هاجموا روسيا فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى ولا يظهر بوضوح عن الطبيعة الاجتماعية والطبقية السياسية للامبراطورية التى هاجمت بعنف كثير من الشعوب الآسيوية والأوربية فى العصور الوسطى.

وكذلك فإنه يجب الحذر عند استخدام مصطلحات متداولة ويتعذر إيجاد ما يؤكد صحتها فالأحداث التاريخية تحتاج إلى فهم الملابسات التى واكبت تلك الأحداث.

وفى عهد الثورة البلشفية تغيرت الأحوال، فبعد الاضطهاد الدينى الذى لقوه التتاريون من رجال الكنيسة الروسية ومؤيديهم، إذا هم بعد قيام الثورة الروسية فى عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م تكونت الفرق الإسلامية - فى الجيش الأحمر وأيضا الفيالق الإسلامية من التتار والباشكير المسلمين وتكونت اللجنة الإسلامية المشتركة وفروعها بمناطق الفولجا وأورال سيبيريا كمؤسسات الحكومة الاشتراكية للشؤن القومية فلم يطلق عليها أحد اسم مؤسسة حركة الجامعة التركية.

وعندما أراد بعض المؤرخين استبدال اسم التتار باسم الترك وأعلن رأيه هذا على الملأ لم يلبث أن رجع عن خطته هذه وأعلن أنه من الأفضل أن يبقى اسم التتار كما هو . وذلك خشية حدوث بلبلة قد تؤدى إلى خلط الأمور.

والتتار الذين عاشوا فى القرن الثالث الهجرى، التاسع الميلادى مجاورين للمغول منهم من ظللتهم الراية المغولية فساروا على درب المغول ومنهم من اضطر إلى الهجرة إلى جهات أخرى نزحوا إليها وعاشوا فيها بعيدا عن نفوذ وسلطان

المغول.

ومن المعروف أن ظهور التتار فى أنحاء أوربا الشرقية حتى نهر الدانوب بعد الهجرات التتارية لأوربا الشرقية وروسيا، أمرا ترتب عليه ظهور تغيرات ملحوظة فى العادات والتقاليد والموسيقى وأساليب الحياة وبطريقة سلسلة وهادئة، حتى أن الإندماج تم بأسلوب هادئ بين الأطراف المتقابلة.

هذا بينما لم يترك المغول تأثيرا ملحوظا يعتد به فى تلك الجهات التى قدموا إليها. ومن الهجرات التى أتت من المناطق التى سكنتها القبائل التتارية فى المناطق الجنوبية من أذربيجان خلال القرون الثلاثة الأولى من الميلاد، والتى اتجهت إلي القوقاز وصار منهم البلكار والقراتشاى والذين انتقل منهم إلى الدانوب جماعة هم الذين شاركوا فى تكوين الشعب البلغارى الحديث، وهؤلاء لا يوجد بينهم عناصر مغولية.

وقبائل الهون والخزار الذين وفدوا من شمال وشرق آسيا ونزلوا فى نفس المناطق التى تمتد من نهر الأرتيش حتى نهر الدانوب عبر الطرق الممتدة شمالى وجنوبى بحر قزوين. وهذه القبائل التى تتكلم لغة واحدة وضمت إليها القبائل التى خضعت لها بعد أن تغلبت عليها.

على أن اللغات التركية فى مناطق القوقاز وحوض نهر النولجا وأورال وسيبيريا وكازاخستان ومنها القراتشاى وهى إحدى اللغات التركية وهم مسلمون والبلكار وهى أحدى اللغات التركية وهم مسلمون، والبولجار ويعرفون بالتتار ولغتهم تركية والباشكير وهى إحدى اللغات التركية وهم مسلمون، والنوغاى وهى إحدى اللغات التركية كذلك وهم مسلمون ايضا.

والكارايم وتتار رومانيا والقراقلباق الذين يسكنون الآن جديدة لم يعرفوا أسلافهم الذين اسكنوا السهوب فى جنوب روسيا ويتبعون الأسرة القبجاقية. وحتى الآن توجد الشعوب القبجاقية فى الأماكن التى سكنتها قبائل الهون والخزار والبلغار وتبعا كذلك فإن شعوب البلكار والقراتشاى والتتار (البولجار) والباشكير والطازاخ والقراقلباق والنوغاى إلى الأسرة القبجاقية فى مجموعة اللغات التركية فهم سلالة تلك الاتحادات الدولية أو التكتلات القبلية الضخمة التى كانت تشغل منطقة تجمع القارتين الأوربية والآسيوية. وقد عرفت بأسماء الهون والبلغار والقبجاق (البولوفتسى) وقد ظهر هؤلاء على مسرح التاريخ فى أزمنة متعددة.

لقد شارك القبجاق فى تكوين شعوب تتكلم التركية وهى تبعد عن منظور السهوب جنوب روسيا منهم الأذربيجان والأوزبك والأتراك وغيرهم.

وفى فترات الحملات الروسية ضد البولجار (التتار) اضطرت الجماعات البولجارية إلى النزوح إلى المجر واستقرت فى السهوب المجرية ثم قامت تحت هجرات بولجارية أخرى إلى اقاليم نهر الدانوب التيسا فى فترة إندحار الأسرة الذهبية (المغول).

أما إذ قيل لماذا اتجه البولجار إلى الدانوب والقومان فى المجر وإلى فرنسا ومقدونيا وبلغاريا، فإنه يمكن القول بأنهم كانوا يعرفون وحدة أصولهم القومية وكيف يواصلون الربط بين أصولهم القومية. ولذلك فإن البعد المكانى لم يقف عقبة أمام هؤلاء السائرين ألا الكيلومترات، فقد دفعهم وعيهم بإدراك الجذور الأصلية إلى التحرك إلى الاتجاه الصحيح.

على أن الاحتكاك بين تلك الجماعات والشعوب التى اتجهت إليها، جعلها تتأثر بعادات واساليب جديدة عليها حيث حدثت تغييرات فى الاماكن التى سكنتها، فمثل ما حدث فى تغير الوسائل الانتاجية فقد حدث تغير فى اساليب الحياة نفسها.

ومع أن تلك الجماعات قد احتفظت بلغتها فإنها لم تخل من اقتباسات وتغييرات قد طرأت على لغتها الأصلية، مع الاحتفاظ بالأصول لتراثها القديم مثل ما كان لها من مفردات من اللغة الفارسية، واللغة العربية.

فمثلا لغة الباشكير ولغة البولجار والقراقشاى والبلكار والنوغاى وغيرها من شعوب المجموعة القفجاقية جميعها ذات أصول تركية فهى لذلك متقاربة، وهى مع مرور الزمن تنمو وتتطور .

وللصين كما لأوربا دور فى إطلاق اسم «التتار» و«الترتر» على الشعوب التى عرفت بهذا الإسم كذلك فإن للروس دور فى بقاء هذا الاسم التتار. ولم تكن الأحوال السياسية فى روسيا تعطى فرصة لمنع رجال الكنيسة الروسية من إبداء مشاعرهم الحاقدة ضد الشعب التتارى. ثم حاولوا تحويل عقيدة التتار الدينية من الإسلام إلى المسيحية إلا أن التتار لم يستجيبوا لهذه الرغبة على الإطلاق، بل إنهم قاوموها حتى استخدموا السلاح دفاعا عن عقيدتهم وتعلقهم بها. فهم رفضوا التنصير بنوعيه التطوعى والإجبارى.

ثم تطور الأمر إلى محاربة التتار فى أرزاقهم فكانت الحرب الاقتصادية ومضايقة التجار والمثقفين وقد قاوم التجار والمثقفون، فاستمر التجار فى تجارتهم غير عابئين بما يلاقونه من التفرقة فى المعاملة وعدم المساواة فى الفرص. كما

واصل المثقفون نشاطهم الاجتماعى والتعليمى فى نشر المدارس والمكتبات بين الجماعات التتارية.

كما أنهم استطاعوا أن يوثقوا صلتهم بالأسواق مع شعوب الشرق الإسلامى الآسيوى وقد أزعجت سياسة النفس الطويل لدى الشعب التتارى رجال السياسة ورجال الدين المسيحى فى روسيا القيصرية فى وقت واحد.

وقد لجأ الروس إلى إدخال مفاهيم تعادى التتار فى مجال التعليم العام وفى أجهزة الإعلام.

لقد نشروا عن التتار أنهم هم المغول المعتدين الذين سبق لهم غزوا البلاد الروسية وهم الذين عذبوا الروس عندما احتلوا بلادهم ما يقرب من قرنين من الزمان فى عصور سابقة.

حتى أن البعض بدأ يتأثر بهذه الدعايات المغرضة ضد الشعب التتارى المسالم والذى قاوم ولم يستسلم للنزعة العنصرية من جانب رجال الدين بصفة خاصة فهم الذين تزعموا حركة العداء ضد التتار فى البلاد الروسية.

بل إنهم قالوا بأن تنمية الكراهية ضد التتار فى نظرهم سبيل إلى رفع معنويات روح الوطنية لدى الروس.

وقد بدأت الحروب الروسية للعمل على بسط نفوذها على شواطئ البحر الأسود فى العصور التالية، وكذلك حروبها ضد إمارة القرم والدولة العثمانية حتى تمكنت الدولة الروسية من ضم أقاليم تقطنها الشعوب التى تتحدث بالتركية. ثم أطلقوا اسم التتار على تلك الشعوب، واعتبرت تلك السياسة الروسية إزاء خطواتها التوسعية فى تلك المناطق بأنها نتيجة لما سبق أن فعله التتار ضد

روسيا القيصرية. ثم لما واصلت الدولة الروسية توسعاتها فى الجنوب والشرق اتسعت رقعة البلاد التى أطلق على سكانها اسم التتار. حدث ذلك فى القوقاز وسيبيريا وآسيا الوسطى.

ثم ظهرت النهضة الاجتماعية القومية بين التتار ونمت مع ظهور النضال الشعبى الروسى الذى نادى بالحرية وذلك فى نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجرى/ التاسع عشر والعشرين الميلادي.

وبعد قيام الثورة البلشفية بدأت ظاهرة الخلط بين التتار والمغول تختفى حتى إذا قامت الحرب العالمية الثانية، وقد أهتمت الدولة الروسية بالتعبئة الأيديولوجية وجعلها من أهم قضايا الدولة وفى هذه الفترة تلاشت ظاهرة الخلط بين التتار والمغول، وبل وتأكد الاعتراف للجميع بخطأ فكرة اعتبار التتار والمغول شعب واحد.

وعقدت المؤتمرات العلمية التى أكدت صحة نظرية التفرقة بين الشعب المغولى والشعب التتارى، وعدم الخلط بينهما.

لقد قامت العلاقات بين الروس والبولجار فى القازان على الصداقة وحسن الجوار والتعاون منذ القدم فيما عدا بعض الأزمات التى حدثت بينهما بين الحين والآخر. وغالبا ما تصف المخطوطات الروسية هذه العلاقات السلمية بين الشعبين حتى أن المخطوطات الروسية لم تغفل قيام البولجار (التتار) بالإسراع لمساعدة الشعب الروسى فى خلال سنوات الجدب والمجاعة وإمداده بعشرات السفن التى تحمل الخبز. كما أن العلاقة بين الشعبين فى النواحى المتعددة من تجريه واقتصادية وثقافية كانت قائمة وكانت الجاليات الروسية تقيم فى مدينة قازان

وتتعاون مع الأهالى فى الأحوال التى تقتضى تضامنهم معا ضد أى اعتداء خارجى.

وفى واقع الأمر فقد كانت العلاقات القائمة على الصداقة وحسن الجوار بين البولجار والقازان وبين الروس بل بين مختلف قبائل الأقاليم الشرقية التى سكنت سهوب روسيا الجنوبية وحوض نهر الفولجا وشمال جبال القوقاز وشبه جزيرة القرم قد تركت آثارها فى كيان ولغة وطرق معيشة الشعب الروسى.

أما ما قيل عن العداوة الدائمة بين الروس والشعوب المتحدثة بالتركية فهو قول غير دقيق ولم يثبت صحته. ولم تصل المصادر التاريخية الشرقية إلى روسيا أو أوربا وما وصل منها إلى أوربا لم يكن على درجة من الدقة العلمية المطلوبة لعدم التعمق فى اللغات الشرقية فأتت الترجمة الغربية للمؤلفات الشرقية مليئة بالأخطاء.

هذا فضلا عن أن الإهتمام كان قائما على مؤلفات الاغريق تلك التى نالت اعجاب المراكز العلمية فى الدول الأوربية. أما البولجار (التتار) الذين سكنوا أواسط حوض نهر الفولجا فقد تم استيطانهم لهذه الأراضى بطريقة سلمية فهم لم تكن لهم ميول عدوانية، وصارت حياتهم فى تلك المنطقة حياة سلم يباشرون أعمالهم بالزراعة والبناء وبالصناعة والحرف المتعددة الأغراض.

وأقاموا الخانات وأنابيب المياه. وكان منهم الصاغة والسباكين الذين اشتغلوا فى حديد الزهر وفى صناعة الفراء والجلود، وأقاموا المساجد والمدارس وعرفوا بنشاطهم التجارى مع البلاد المجاورة فى الجنوب وفى الشرق والغرب. كما عرفوا بالتسامح الدينى.

وكان لهم اهتمام بالشعر الذى اشتغل به المثقفون، ولهم ابحاث فى فروع العلم المختلفة، وكانت عاصمة البولجار مركزا مرموقا للنشاط التجارى بين الشرق والغرب وقد تبع هذا الأسلوب الذى جعله البولجار مبدأ يتبعونه فى معاملاتهم مع جميع الناس ولا يحيدون عنه سبيلا إلى الاستقرار وازدهار حياتهم الاجتماعية.

لقد امتدت علاقات البولجار إلى الصين والهند بل وأوربا الغربية مما جعلهم يعرفون المدى الذى وصلت إليه الشعوب الأخرى فى أنحاء العالم وفى الحضارة والتقدم وقد ساعد البولجار على سرعة التقدم فى حياتهم المبادئ الإسلامية التى ساروا عليها ولم يلتفتوا إلى غيرها حتى أنهم بفضل الدين الإسلامى الذى وحد فيما بينهم صارت وحدتهم القومية قوية البنيان إلى حد كبير وقد بقيت حياة البولجار بغير تأثير خارجى حيث أن مستواهم الحضارى كان مميزا.

وعندما تعرضت الأراضى البولجارية للغزو المغولى لم تتأثر بأى حال خاصة وأن المغول لم يطل بقاؤهم فى تلك البلاد .

على أن بعض البولجار قد هاجر إلى الأراضى الروسية، واندمجوا مع الشعب الروسى. ثم بدأت حملة صليبية لإدماجهم إجباريا فى التنصر وقد قبل غالبيتهم مرغمين الدخول فى المسيحية.

من نتائج هذا الإندماج بين الشعبين البولجارى (التتارى) والروسى أن ما يعادل الربع من أسر النبلاء الروس ترجع شجرة النسب إلى شعب البولجار والشعوب التى لغتها التركية. واندمجت فى الشعب الروسى خلال عدة قرون منذ

القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى، ومما يؤكد هذا الاندماج كتاب الأنساب الخاص بالنبلاء الروس. وهناك من تنكر لأصوله إلا أن البعض الآخر ظل محتفظا بأصوله لم يغير فيها.

ويوجد عائلات من النبلاء الروس مازالت تحتفظ بالاسماء التركية، وكذلك توجد اسماء ألمانية باللغة التركية. ويوجد فى اللغة الروسية نفسها الفاظ تركية ومنها الفاظ تركية من البولجار الذين عاشوا على ضفاف الفولجا. وغالبا أن ذلك جاء نتيجة الامتزاج بين الشعبين، وكانت الاتصالات بين البولجار والروس قديمة وقد تأثرت العادات والمناسبات والنواحى الثقافية.

ولم يحدث للشعب البولجارى تغيرات واضحة كما حدث لغيرهم من الشعوب، فقد ظل البولجار في مناطق سكناهم بقرون طويلة الأن، كما هم على عهدهم بغير تغير.

فالشعب البولجارى لم يتعرض للتغيرات الظاهرة، كما أن شعوب تشوفان وباشكير وهى ذات وحدة تاريخية وقد أصابها الغزو المغولى، وهى تتعايش فى نطاق دولة واحدة وذات صلات اقتصادية وثيقة بينها وايضا ذات صلات حضارية متداخلة.

ظلت كل جماعة محتفظة لنفسها بخصائصها المميزة. كذلك فإن بولجار الفولجا وإمارة قازان لم تتأثر بالغزو المغولى وبقيت تحتفظ لنفسها بخصائصها المميزة وبلغتها، ومع ذلك فقد تأثرت لغة البولجار بلغة جيرانهم فاقتبست منها بعض كلمات، وهذا بالطبع تطور طبيعى للغة وهو إثراء لهذه اللغة الآخذة حيث تدخلها مفاهيم جديدة.

على أن المؤكد أن لغة التتار الحديثة هي لغة البولجار وهى ثابتة لم تتغير منذ القرنين الثانى والثالث الهجرى/ الثامن والتاسع الميلادى. وكذلك هاجر جزء من البولجار آسيا الصغرى وإلى البلاد العربية وأطلقوا على أنفسهم البولجار أى أنهم ظلوا محتفظين باسمهم لم يغيروه.

واندمج بعض هؤلاء البولجار فى شعب الأناضول ولم يحتفظوا باسمهم الحقيقى، ومع ذلك فقد ظلت الصلات الوثيقة بين هؤلاء المهاجرين وذويهم من البولجار الذين لم يتخلوا عن اماكن سكناهم القديمة. كما احتفظ بهذا الاسم «البولجار» بقايا البلغار فى القوقاز المعروفين باسم «بلكار» وهم مسلمون، وهذا دليل على احتفاظ الشعب بامسم قداستقر فى ضميره قلم يعد يحتمل أن يحمل اسما آخر غيره.

ولم يظهر أن التتار قد رغبوا فى الاحتفاظ بهذا الاسم غصبا، بل هم يدركون أن هذه التسمية تعبر عن أصولهم التاريخية التى لا محيد عنها والاحتفاظ بها حتى لا يفقدوا هويتهم وأصولهم المميزة لهم عن غيرهم من الشعوب. وهذا يؤكد صحة نسبهم إلى شعب التتار وهم ليسوا إذا دخلاء عليه. فدولة البولجار «بولجاريا» وبلغاريا العظمى، التى عرفت فى بلاد العالم واشتهرت فى روسيا وفى دول الشرق الأقصى وجنوب أوربا، هم يعرفون أيضا باسم التتار وجيرانهم من الأدمورت يسمون البولجار باسم بيجارى (بولجار) ويطلق عليهم الكازاخ اسم النوغاى نسبة إلى بلادهم فى القوقاز وهم مسلمون.

وقد نبغ فى البولجار مثل ابن نعمان البلغارى المؤرخ والفيلسوف حامد بن حارس البلغارى. وفى الأدب ظهر كتاب «نهج الفراديس» لمؤلفه محمد بن على البلغارى، وقد ألفه عام ٧٥٩هـ/ ١٢٥٧م. وقد ألف حسام الدين مسلم كتاب

بعنوان «تواريخ البلغاريا» ألفه فى القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى، والشاعر «مولى فولى» وقد عاش فى نفس الفترة، وقد أضاف إلى إسمه لقب بلغارى للتعريف بموطنه وسكنه وهذه عادة جرى بالنسبة لمؤلفات الشعب التتارى. حيث ظهرت مؤلفات كثيرة أضاف أصحابها لقب بلغارى إلى اسمائهم الأصلية وقد بقى هذا العمل متبعا حتى بداية القرن الرابع عشر الهجرى العشرين الميلادى.

وهذه المؤلفات التى ظهرت فى تلك الفترات من التاريخ عادة ما تكتب بالتركية. وفى أحيان أخرى كانوا يطلقون عليها اسم «اللغة التتارية» حيث كان هذا الاسم هو المتداول غالبا بين الشعب الروسى آنذاك.

ومن العلماء من قابل بعض التتار فى بداية القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى، وتحدث إليهم فى تاريخهم وهو أصلا من المهتمين بأصول التتار وتاريخهم من المؤرخين الأوربيين وهو المؤرخ «جومبولد» قال عن التتار، أنه يتبع عرف الأدب الغربى عند استخدامه لاسم التتار، ولكنه « لم يعيد الاسم للمغول وإنما يعنى شعبا أخر من القومية التركية العظمى».

وإلى جانب الكتاب الغربيين الذين كانوا لهم إتصال مباشر بالتتار وعرفوهم عن قرب كان هناك الكتاب الغربيون الذين لم يعرفوا التتار إلا من الكتب الأدبية. وخلطوا بينهم وبين المغول وجعلوهم من سلالة المغول مثلما كان الحال فى روسيا قبل قيام الثورة.

ولكن من العلماء الروس من المؤرخين الذين درسوا أصول التتار وتتبعوا تاريخهم وحضارتهم ولغتهم قالوا بأنه لا يوجد فى القبائل التركية حاليا من يمثل

الشعب المغولى وقد ثبت من الناحية العلمية أنه ليس يوجد روابط بين المغول والتتار.

كما دافع العلماء من المؤرخين التتار عن خطأ الخلط بين التتار والمغول وثبت دفاعهما هنا بأدلة تاريخية . ثم قام العالم التتاري «شهاب الدين مرجانى». الذى كتب مؤلفه باللغة العربية فى القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى. وهذا العالم له معجم ببليوجرافى يقع فى ستة أجزاء وقد جمع فيه جميع الشخصيات المهمة فى الشرق الإسلامى منذ ظهور الإسلام حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادي. وقد اعتمد هذا العمل الضخم الذى سماه موسوعة الشرق على دراسة عدد ضخم من المخطوطات الشرقية فى آسيا الوسطى والبلاد العربية وتركيا وقازان. وقد امتاز الكاتب بدقة فهمه للتاريخ وخاصة تاريخ شعوب الشرق حتى صارت مؤلفاته مصدرا هاما لتاريخ شعوب حوض نهر الفولجا وآسيا الوسطى والأناضول والبلاد العربية.

وقد أشاد العلماء الروس بهذا المؤرخ التتارى واعتبروها خطوة بارزة فى تاريخ التتار. فعندما تناول مرجانى تاريخ التتار قدم تحليلا موضوعيا حيث استعان بمجموعة كبيرة من الحقائق الثابتة علميا توضح أن تتار اليوم هم سلالة مباشرة للبولجار القدامى.

وفى كتابه عن البولجار وإمارة قازان رجع مرجان إلى المصادر القديمة يكشف فيها عن الصلة الوثيقة بين البولجار والتتار.

ويقول «جوميليف» العالم الروسى أنه منذ عشرة قرون ربطت معاهدة سلمية بين روسيا الكيفية وبولجار الفولجا. وعلى الرغم من دخول الدولة الروسية

فى المسيحية الشرقية الأرثوذكسية وتمسك دولة البولجار التركية بديانتهم الاسلامية، فلم تتأثر هذه المعاهدة بما حدث وإنما توطدت العلاقات بين الشعبين.

ومن المؤثرات الإيجابية ما يعرضه المؤرخ الروسى «أحميروف» الذى حين تحدث عن أصول التتار أيد مقولة أن التتار هم البولجار وأن ذلك يؤكده دراسات تحليلية بمقارنة العادات ولغة وديانة وطقوس وزخرفة وفنون وقطع أثرية جديدة.



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المراجع العربية

إبن الأثير : (+٦٣٠هـ = ١٢٣٢م)

(١) الكامل فى التاريخ (الطبعة الأزهرية ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م)

(٢) تاريخ الدولة الأتابكية - ملوك الموصل (طبعة ..Rec.Hist. or. Cr. t ii.) البندارى.

(٤) تاريخ دولة آل سلجوق (القاهرة١٣١٨هـ =١٩٠٠م) حسن إبراهيم حسن : دكتور

(٤) النظم الإسلامية، بالإشتراك مع الدكتور على إبراهيم حسن (القاهرة ١٣٥٨-١٩٣٩).

(٥) تاريخ الإسلام السياسى، ج٢ (القاهرة ١٣٦٥هـ = ١٩٤٥)

(٦) تاريخ الإسلام السياسى. ج٣ (القاهرة ١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م) إبن خلدون : (+ ٨٠٨هـ = ١٤٠٥م)

(٧) العبر وديوان المبتدأ والخبر. (١٢٨٤هـ = ١٨٦٧م) ابن خلكان : (+٦٨١هـ = ١٢٨٢م).

(٨) وفيات الأعيان. (بولاق ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م) الديار بكرى (+ ٩٦٦هـ = ١٥٥٨م)

(٩) تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس. (القاهرة ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م) رضا زاده شفق : دكتور.

(١٠) تاريخ الأدب الفارسى. نقله من الفارسية إلى العربية الإستاذ محمد موسى هنداوى. (القاهرة ١٣٦٦هـ = ١٩١٧م).

زكى محمد حسن : دكتور

(١١) الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى. (القاهرة ١٣٥٥هـ = ١٩٤٠)(١٢) الصين وفنون الإسلام (القاهرة ١٣٦٠هـ = ١٩٤١م)

(١٣) التصوير فى الإسلام عند الفرس (القاهرة ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م)

(١٤) التصوير وأعلام المصورين فى الإسلام، مقال بعدد أكتوبر سنة ١٩٣٨ من مجلة المقتطف.

السيوطى : (+ ٩١١هـ = ١٥٠٥م)

(١٥) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين بأمر الله (القاهرة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) إبن شاكر الكتبى : (+ ٧٦٤هـ = ١٣٦٢م)

(١٦) فوات الوفيات (القاهرة ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٦م)

إبن طباطبا :

(١٧) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية (القاهرة ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م) عبد الوهاب عزام : دكتور

(١٨) الصلات بين العرب والفرس وأدابهما فى الجاهلية والإسلام مقال بعدد أكتوبر سنة ١٩٢٨ من مجلة المقتطف.

إبن العبرى (+ ٦٨٥هـ = ١٢٨٦م)

(١٩) تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٣٠٨هـ = ١٨٩٠م)

إبن العميد : (= ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣م)

(٢٠) تاريخ المسلمين (لندن ١٠٣٥هـ = ١٩٠٧م)

أبو الفدا : (+ ٧٣٢هـ = ١٣٣١م)

(٢١) المختصر فى أخبار البشر (القاهرة ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧م)

قدرى حافظ طوفان :

(٢٢) الأثر العلمى للحضارة الإسلامية وأعظم علمائها، مقال بعدد أكتوبر سنة ١٩٣٨ من مجلة المقتطف.

القلقشندى : (+ ٨٢١هـ = ١٤١٨م)

(٢٣) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (القاهرة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٤م)

إبن القلانسى : (+ ٥٥٥ هـ = ١١٦٠م)

(٢٤) ذيل تاريخ دمشق (بيروت ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م)

أبو المحاسن : (+٨٧٤هـ = ١٤٩٦م)

(٢٥) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : (القاهرة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥م)
محمد جمال الدين سرور : دكتور

(٢٦) الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره (القاهرة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨م)

المقريزى (+ ٨٤٥ هـ = ١٤٤١م)

(٢٧) السلوك لمعرفة دول الملوك نشرة ووضع حواشية الدكتور محمد مصطفى

زيادة. (القاهرة ١٣٥٢ - ١٣٥٨ = ١٩٣٤ - ١٩٣٩م)

(٢٨) المواعظ والإعتبار فى ذكر الخطط والآثار. (القاهرة ١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م)

النسوى : محمد

(٢٩) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى. (باريس ١٣٠٩هـ = ١٨٩١م)

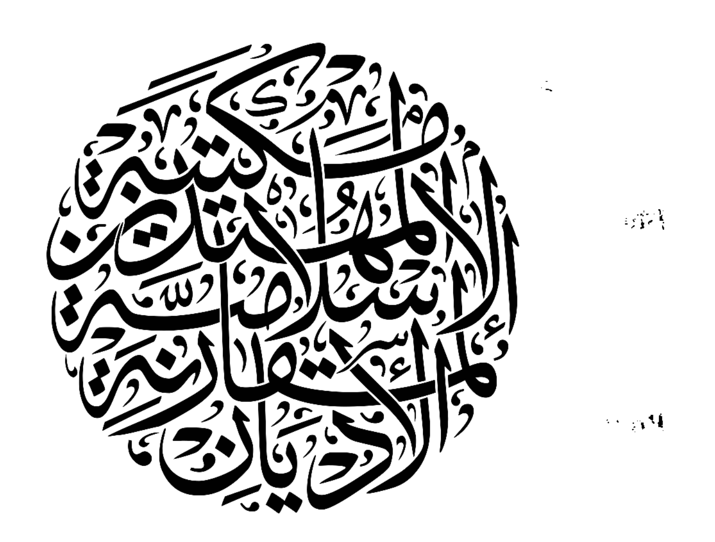
إبن الوردى : (+ ٧٥٠ هـ = ١٣٤٩م)

(٣٠) تتمه المختصر فى أخبار البشر (القاهرة ١٢٨٥ = ١٨٦٨م)

(٣١) ابرار كريم الله (دكتور) : من هم التتار ت رشيده رحيم الصبروتى ، الإسكندرية ١٩٩٣.

(٣٢) رؤوف شلبى : الإسلام فى ارخبيل الملايو ، القاهرة، ١٩٧٥.

(٣٣) نعمان الطيب سليمان : المغول وغزواتهم فى بلاد المسلمين، القاهرة ١٩٨٨.



المراجع الأجنبية

Abulgasl:

1 - Histoire Genealpgique des Tatars (Leyde 1726)

Ameer Ali, Sayed :

2 - A Short History of the Saracens. (London,1916)

Arnold. T.W. :

3 - The Preaching of Islam . (London,1935)

Atiya, A.S. :

4 - The Crusade in the Later Middle Ages. (london, 1938)

Barker, E. :

5 - The Crusades, (London,1925)

Bartold :

6 - Turkestan down to the Mongol Invasion. (London,1928)

Blochet, E. :

7 - Introduction a l'Histoire des Mongols de Fadlallah Rashid Ed Din (Leyden,1910)

Boulger. D.C. :

8 - The Mongols and the Couri of Kublai Khan. (Universal History of The World,Vol.5. PP.2847-2860)

Bretscl neider, E. :

9 - Mediaeval Researches From Eastern Asiatic Soures. (st. Petersburg,1887)

10 - Recherches Archeologiques et Historiques sur Pekin et ses Environs. (Paris,1879)

Browne,E.G. :

11 - A Literary History of Persia. (London), 1906.

12 - Account of a Rare Manuscript History of Seljuqs. (London, 1906)

Cahun, L. :

13 - Introduction a L'Histoire de L'Asie, Turcs et Mongols. Des Origine a 1405. (Paris,1896)

14 - Gengis Khan et L'Empire Mongol.

(Lavissse et Rambaud : Histoire Generale, tom.ii.PP.917-953) Paris.1893.

Curtin, J.:

15 - The Mongols' History. (Boston,1908)

Czapiicka :

16 - The Turks of Central Asia, in History and at the Present Day, (Oxford,1918)

Defremery.M. :

17 - Histoire des Seldjoukides; Extraits du Tariklii Guzideh, ou Histoire Choisie d'Hamdullah Mustaufi. (Journal Asiatique : Avril-Mai, 1848, pp.417-468)

18 - Histoire des Seldjoukides. (Suite)

(Journal Asiatique: Septembre-Octobre, 1848, pp. 259- 376).

19- Fragments de Géorgraphes et d'Historiens Arabes et Persans Inédits. (Journal Asiatique: Novembre-Décembre 1849, pp. 447 - 513).

De Guignes, J. :

20- Histoire Générale des Huns, des Turcs, des Mongols et des autres Tartares Occidentaux.(Paris, 1757).

D'ohsson, M. Le Baron :

21- Histoire des Mongols depuis Tchinguiz-Khan jusqu'a Timour Bey ou Tamerlan. (Paris, 1824).

Douglas, R.K. :

22- The Life of Jenghiz-Khan, Translated from Chinese. (London 1877).

23- China, The Story of Nations. (London, 1912).

24- Jenghis-Khan. (Encyclopaedia Britannica, vol. 12. pp. 1000-1001) (New York, 1929).

Dubeux, M.L. :

25- La Perse. (Paris, 1841)

Elleen Power :

26- Medieval People. (London, 1939).

27- The Guilds and Medieval Commerce.

(Universal History of the World, vol. 5. pp. 2897-2926).

Fitzgerald :

28- China, A Short Cultural History. (London, 1935).

Fraser, J.B. :

29- Historical and descriptive of Persia. (London. 1833).

Gibbor, E. :

30- The History of the Decline and Fall of the Roman Empire.

(New York, 1927).

Giles, A. H. :

31- The Civilization of China. (Cambrige, 1911).

Grenard, F. :

32- Gengis-Khan. (Paris, 1935).

Hart, B. H. L. :

33- Mongole Compaigns.

(Encyclopaedia Britannica, vol. 15. pp. 705-7) (New York, 1929).

Heyd, W. :

34- Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age. (Leipzig, 1886).

Hirth, J. :

35- China and the Roman Orient. (Leipsic, 1885).

Hirth & Rockbill, W. W. :

36- Chiense and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Centuries.

Translated from Chinese. (St Petersburg, 1911).

Hittl, Philip :

37- The History of the Arabs. (London, 1937).

Howorth, H. H. :

38- History of the Mongols. (London, 1876).

Huntington, E. :

39- The Pulse of Asia. (Washington, 1919).

Huzayyin, S. A. :

40- Arabia and the Far East. Their Commercial and Cultural Relations in Graeco-Roman and Irano-Arabian Times. (Cairo, 1942).

Jacobs, Joseph :

41- The Story of Geographical Discovery.

How the World Became Known. (London).

Lamb, Harold :

42-Genghis-Khan; Emperor of All Men. (London, 1934).

43- The Grusades; The Flame of Islam. (London, 1931).

Lane-Poole, Stanley :

44- History of Egypt in the Middle Ages. (London, 1925).

45- Mediaeval India Under Mohammedan Rule. (London, 1917).

46- The Mohammadan Dynasties. (Paris, 1925).

47- Catalogue of the Collection of Arabic Coins Preserved in the Khedivial Library at Cairo. (london, 1897).

Le Strange :

48- Baghdad During the Abbasid Caliphate. (Oxford 1900).

Little, A. :

49- The Far East (Oxford, 1905).

Loewe, H. M. J. :

50- The Saljuqs.

(Cambridge Medieval History, vol. iv.pp. 299-317). (Cambridge, 1927).

51- The Mongols.

(Cambridge Medieval History, vol iv. pp. 627-652) Cambridge, 1927.

Malcolm, J. :

52- The History of Persia, from the Most Early Period to the Present Time. (London, 1829).

Marcel, M. J. :

53- L'Egypte Depuis la Conquéte Des Arabes Josqu'a la Domination Francaise (Paris, 1848).

Muir, Sir William :

54- The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall, (Edinbargh, 1924).

Nicholson, Reynold :

55- A Literary History of the Arabs. (London, 1923).

Nidhami-i-Arudi-i-Samarquandi :

56- The Chahár Maquala. Translated by Browne, E.G. (London, 1899).

Nizam Al-Mulk :

57- Siyásat Namah. (Paris. 1891).

Noldéke, Theo or :

58- The Abbasids.

(The Historians' History of the World, vol. viii. pp. 209-232) (New York, 1926).

Rashid-Eldin :

59- Histoire des Mongols de la Perse. Edit. par M. Quantreme e (p. 1833).

Reinaud et Favé, M. M. :

60- De Feu Grégeois, Des Feux De Gverre, et Des Origine de la boudze a Canon Chez les Arabes, les Persans, et les Chinois.

(Journal Asiatique: Octobre 1849, pp. 257-327)

Sanaullah, Mawlawi Fadii :

61- The Decline of the Saljuigid Empire. (Calcutta, 1938)

Ross, E. D. :

62- The Empire of the Seljuk Turks.

(Universal History of the World, vol 5. pp. 2779-96)

Skrine, F .H. & Ross, E. D. :

63- The Heart of Asia. (London, 1899).

Stevenson, W. B. :

64- The Age of Eastern Imperialism: 1215-1303

(Universal History of thr World, vol. 5. pp. 28-2834).

Sykes, Sir Percy :

65- The Quest For Cathay. (London, 1936).

66- A History of Persia. (Oxford, 1922).

Vambory, A. :

67- History of Bokhara from the Eastern Period down to the Present. (London, 1873).

Vladimirisov :

68- The Life of Chingis-Khan. (london, 1939).

Von Hammer :

69- Histoire de L'Ordre des Assassins. (Paris, 1833).

Wells, H. G. :

70- The Outline of History.

Wiet, Gaston :

71- Précis de J'Histoire d'Egypte. (Le Cairo, 1932).

Zambour :

72- Manual de Généalogie de Chronologie pour I'Histoire de I'Slam. (Hanovre, 1927).

الفهرس

